

-المنهج التاريخي :

1- تعريف المنهج التاريخي:

المنهج التاريخي هو ذلك المنهج الذي يستخدم في دراسة التاريخ بمعناه العام والذي يتمثل في دراسة الماضي بمختلف أحداثه وظواهره وكذلك دراسة التاريخ بمعناه الخاص والذي يعني البحث في مجمل حياة البشر الماضية وما تشتمل عليه من علاقات بين الأحداث والمتغيرات في فترات زمنية مختلفة وبالذات العلاقات السببية المسؤولة عن تطور وتغيير هذه الظواهر والأحداث عبر الزمن والمنهج التاريخي يستخدم في دراسات علم التاريخ وعلم الآثار والجيولوجيا (علوم الأرض) وذلك لاستخلاص الحقائق المتعلقة بجميع الظواهر والأحداث التي تدرسها وتتناولها هذه العلوم (صفوح، 1983، 18-19).

والمنهج التاريخي هو ذلك الطريق الذي يصف ويسجل ما مضى من وقائع وأحداث الماضي ويدرسها ويفسرها ويحللها على أسس علمية منهجية ودقيقة، بغرض التوصل إلى حقائق وتعميمات تساعدنا في فهم الحاضر على ضوء الماضي والتنبؤ بالمستقبل (المشهداني، 2018، 121).

2 خطوات المنهج التاريخي :

تتضمن خطوات المنهج التاريخي في النقاط التالية (دالين، 1985، 273-278):

أ-تحديد مشكلة البحث: تشترك جميع مناهج البحث العلمي في هذه الخطوة وهذه الخطوة مفصلية في منهجية البحث العلمي حيث يأخذ فيها الباحث بعين الاعتبار موضع الدراسة وامتدادها التاريخي بحيث يكون لها صفة الاستمرار، والدوام النسبي بحيث يمكن تعقب الظاهرة محل الدراسة والوقوف على مراحل تطورها، وفي معظم الدراسات العلمية يستقي الباحثون مشكلة الدراسة من ميدان التخصص ومن خلال الإطلاع على الدراسات السابقة.

ب-جمع البيانات والمعلومات (المادة التاريخية):تتطلب هذه الخطوة مراجعة المصادر الأولية والثانوية واختيار البيانات التي ترتبط بمشكلة البحث وتجدر الإشارة إلى التمييز بين نوعي المصادر.

حيث تتمثل المصادر الأولية في السجلات والوثائق والآثار، وتتمثل المصادر الثانوية في الصحف والمجلات، وشهود العيان و المذكرات الشخصية و السير الذاتية ،الدراسات السابقة و المؤلفات الأدبية و العلمية ،الأعمال الفنية ،القصص،القصائد،الأمثال الشعبية ،الرقصات و مختلف أشكال التراث الثقافي اللامادي ،التسجيلات الإذاعية و التلفزيونية ،الاشربة،الفيديوهات،الدوريات،الرسومات التوضيحية ،الخرائط (البياتي، 2018، 118).

ج-نقد المعلومات والبيانات (المادة التاريخية):يتم في هذه الخطوة فحص البيانات والمعلومات التي تم جمعها والحصول عليها من خلال نقدها على مستويين ،المستوى الاول وهو النقد الداخلي والمستوى الثاني وهو النقد الخارجي .

*النقد الخارجي :يتوقف النقد الخارجي للمادة التاريخية على مدى صدقها وأصالتها ويركز أكثر على التحقيق في شخصية المؤلف أو الكاتب وزمن الوثيقة ومكان صدورها حيث تطرح جملة من الأسئلة في هذا السياق ،ليحاول الباحث الوقوف على أجوبة منطقية حولها ومن جملة هذه الأسئلة :

*في أي مرحلة تاريخية ظهرت الوثيقة؟ .

*من هو صاحب الوثيقة وهل هو المؤلف الأصلي للوثيقة؟

*هل الوثيقة أصلية أم نسخة عنها؟ وإذا كانت نسخة عنها هل يمكن الوصول إلى النسخة الأصلية؟

*هل كتبت الوثيقة بعد الحادث مباشرة أم بعد مرور فترة زمنية؟

*هل هناك شك في موضوعية كاتب الوثيقة ؟

*هل كان الكاتب في صحة جيدة أثناء كتابة الوثيقة ؟

*هل كانت الظروف التي تمت فيها كتابة الوثيقة تسمح بحرية الكتابة ؟

*هل هناك تناقض في محتويات الوثيقة ؟

*هل تتفق الوثيقة في معلوماتها مع وثائق أخرى صادقة ؟

*النقد الداخلي: ويتمثل النقد الداخلي في إجابة الباحث عن الأسئلة التالية ؟

*هل تمت كتابة الوثيقة بخط صاحبها أم بخط شخص آخر؟

*هل تتحدث الوثيقة بلغة العصر الذي كتبت فيه أم تتحدث بلغة ومفاهيم مختلفة ؟

*هل كتبت الوثيقة بمواد مرتبطة بالعصر الذي ظهرت فيه أم بوسائل حديثة؟

*هل هناك تغيير أو شطب أو إضافة في الوثيقة ؟

*هل يوجد تناقض في محتوى الوثيقة أو موضوعاتها ؟

*هل تتفق الوثيقة في معلوماتها مع وثائق أخرى صادقة ؟

د-صياغة الفرضيات في المنهج التاريخي:يعتمد المنهج التاريخي كغيره من مناج البحث العلمي على الفرضية ،حيث تساعد الباحث في تحديد مسار واتجاه البحث ،كما يتم توجيه الفرضية نحو جمع المعلومات الضرورية واللازمة للبحث ،و الفرضية كما هو مسلم به في البحث العلمي قابلة للتعديل والقبول والرفض وذلك إستنادا للنتائج المتوصل إليها في نهاية البحث ،وفي البحوث والدراسات التاريخية تعدد الفرضيات على اعتبار أن معظم الوقائع والأحداث التاريخية لا يمكن الإحاطة بها بشكل موضوعي والسبب في ذلك تعقدها وتداخلها ومن الصعب ربطها بمتغير واحد أو سبب واحد .

ه-كتابة البحث التاريخي :

تقرر فرضيات البحث التاريخي الاطار العام للدراسة و المتمثل في عرض المادة العلمية وفق نسقا عام قد يكون تاريخيا(زمنيا)،أو جغرافيا (إقليميا)أو موضوعيا ، وتقرير البحث التاريخي لا يختلف في خصائصه عن تقارير الأبحاث و الدراسات الأخرى ، لكن هناك جملة من الاعتبارات تعد أساسية لكتابة البحث التاريخي وهي :

*كتابة الحقائق التاريخية بصورة منظمة ومنطقية في التسلسل الزمني من الماضي إلى الحاضر، أو على أساس موضوعي ،أو على أساس جغرافي أو على أساس العوامل والمتغيرات التي يدرسها الباحث.

*دراسة وبحث البيانات التاريخية وتحليلها مع التركيز على تبيان العلاقات السببية للوقائع والعوامل والمتغيرات المدروسة و النتيجة المحتملة بينها.

ويتضمن تقرير البحث الذي يعتمد على المنهج التاريخي النقاط التالية:

1-مقدمة البحث توضح خلفية مشكلة الدراسة ومصادرها .

2-الدراسات السابقة.

3-تساؤلات وفرضيات وأهداف الدراسة .

4-استعراض المنهج المستخدم في الدراسة وأدوات جمع البيانات.

5-عرض النتائج ومناقشتها وتفسيرها في ضوء الفرضيات وفي ضوء نتائج الدراسات السابقة وفي ضوء التراث النظري حول موضوع الدراسة .

6- اقتراح النتائج والتوصيات مع ادراج المصادر والمراجع المعتمدة في البحث والملاحق مع توشي الدقة والأمانة والموضوعية في توثيق المراجع وكتابة البحث بصورة عامة (زياد، 1989، 65-66).

3 أدوات جمع البيانات في المنهج التاريخي :

من أهم الأدوات المنهجية التي تعتمد في المنهج التاريخي :

*الملاحظة التحليلية الناقدة للمصادر التاريخية

*تحليل المادة التاريخية باستخدام الأجهزة والتقنيات الحديثة للتأكد من صحة وزيف الوثائق التاريخية .

*المقابلات الشخصية لشهود العيان والقنوات الناقلة للحوادث والأخبار.

*استطلاعات الرأي العام والاستبيانات .

2-المنهج الوصفي :

1 تعريف المنهج الوصفي :يعرف المنهج الوصفي بأنه طريقة لوصف الموضوع المراد دراسته وذلك بإتباع منهجية علمية صحيحة والتعبير عن النتائج المتوصل إليها بصيغة رقمية (إحصائية) يمكن تفسيرها .

ويعرف كذلك بأنه محاولة للوصول إلى المعرفة الدقيقة والتفصيلية لعناصر مشكلة أو ظاهرة ما والتوصل إلى فهم أدق و أعمق بغرض رسم السياسات واتخاذ الإجراءات المستقبلية الخاصة بها (المحمودي، 2019، 56).

2- خصائص المنهج الوصفي :من مميزات وخصائص المنهج الوصفي :

-اعتماده على الوصف العلمي من خلال التحليل والموضوعية .

-ارتباطه بالواقع من خلال استخدامه في الدراسات والبحوث ذات الصلة المباشرة بواقع الحياة الانسانية .

-اعتماده على الأسلوب الكمي والكيفي والجمع بينهما أحيانا .

-يستخدم في معظم البحوث والدراسات الانسانية والاجتماعية .

-يساعد على التنبؤ بمستقبل الظاهرة وذلك عبر متابعة التغيرات التي تطرأ عليها عبر الزمن .

-يهدف إلى الحصول على أكبركم من المعلومات عن الظاهرة محل الدراسة .

-يعتمد على الكثير من الأدوات المنهجية في بحث ودراسة المواضيع البحثية والظواهر.

-لا يقتصر المنهج الوصفي على جمع البيانات وتصنيفها وتبويبها بل يتعدى ذلك إلى تحليلها وتفسيرها والتوصل إلى تعميمات متعلقة بالظاهرة موضوع الدراسة .

3 أدوات المنهج الوصفي:

يعتمد المنهج الوصفي على مجموع من الأدوات البحثية وهي :

-الملاحظة

-المقابلة

-الاختبارات والمقاييس .

-الإستبيانات

4 خطوات المنهج الوصفي :

يمكن حصر خطوات المنهج الوصفي النقاط التالية :

1-تحديد المشكلة وصياغتها بدقة : من أهم الشروط في تحديد المشكلة البحثية الوضوح والدقة في الصياغة وإمكانية الدراسة الميدانية .

2-صياغة الفروض:الفرض من الناحية النظرية الفرضيات هي إجابات مؤقتة لأسئلة الإشكالية و عمليا هي موجبات المراحل البحثية اللاحقة .

3-جمع المعلومات والبيانات من مختلف المصادر:يتم في هذه المرحلة جمع البيانات والمعلومات بالاستعانة بأدوات البحث المختلفة كالمقابلة والاستبيان والملاحظة بالإضافة إلى البحث الوثائقي ،كما يختار الباحث الأداة المناسبة لطبيعة المشكلة والفروض المصاغة .

3-5 تحليل البيانات وتفسيرها :في هذه الخطوة يقوم الباحث باختبار الفرضيات ومناقشتها في ضوء نتائج الدراسات السابقة والتراث النظري حول الدراسة للوقوف على مدى اتفاق نتائج البحث مع نتائج البحوث السابقة والعمل على تفسير أسباب الاتفاق والاختلاف .

5-صياغة النتائج :تتم في هذه المرحلة صياغة النتائج المتوصل إليها واقتراح الحلول للمشكلة المطروحة في البحث وتقديم التوصيات والمقترحات .

3-المنهج المقارن:

1 تعريف المنهج المقارن :هو ذلك المنهج الذي يعتمد أسلوب المقارنة لمعرفة أسباب حدوث الظواهر والعوامل التي صاحبت حدوثها .

كما يعرف كذلك بأنه منهج علمي يهدف إلى توضيح وتصنيف العوامل السببية في ظهور ظواهر معينة وتطورها ،وكذلك أنماط العلاقة المتبادلة في داخل هذه الظواهر بينها وبين بعضها البعض ،وذلك بواسطة توضيح التشابهات والاختلافات التي تبينها الظواهر التي تعد من نواح مختلفة قابلة للمقارنة (علي، 2006، 132).

بمعنى آخر المنهج المقارن هو طريقة للمقارنة بين مجتمعات مختلفة أو جماعات داخل المجتمع الواحد أو نظم إجتماعية للكشف عن أوجه الشبه والاختلاف بين الظواهر الاجتماعية و ابراز أسبابها وفقا لبعض الجوانب التي تجعل هذه الظواهر قابلة للمقارن مثل الجوانب التاريخية ،الاقتصادية ،الديموغرافيةإلخ.

2 خطوات المنهج المقارن:

1-تحديد موضوع المقارنة :في هذه الخطوة يقوم الباحث بضبط موضوع المقارنة أو الظاهرة محل الدراسة والمقارنة .

- 2- تحديد و حصر متغيرات المقارنة :و يتم خلال هذه الخطوة تحديد مجموعة من المتغيرات التي تتضمن نقاط التشابه و الاختلاف في موضوع المقارنة وهنا يتم وضع افتراضات أو صياغة علاقات افتراضية فيما بين المتغيرات محل المقارنة وهذا لدراستها بدقة ووضوح.
- 3- تفسير بيانات مجال المقارنة :في هذه المرحلة يقوم الباحث بالتفصيل في جوانب المقارنة وذلك للوقوف على أسباب و مبررات التشابه والاختلاف في المتغيرات محل المقارنة .
- 4- صياغة نتائج المقارنة :يستعرض الباحث جوانب الاختلاف و التشابه في عملية المقارنة و التعرض للأسباب الحقيقية لذلك من خلال ربطها بمتغيرات وعوامل أخرى ثم يخلص إلى استنتاجات منطقية تبرر عملية المقارنة .
- 3 كيفية تطبيق المنهج المقارن :
- طريقة البواقي :في هذه الطريقة يستثني الباحث بعض العوامل و يقوم بالمقارنة على العوامل المحددة و اذا تبين له الاختلاف يرجع سبب ذلك إلى العوامل الباقية أو المسبعدة
- المقارنة الكيفية :وتتم من خلال :
- أ-جمع المعلومات حول المواضيع والتعرف على خصائصها ومن ثم المقارنة بينها و يتطلب ذلك التعرف على الظاهرة و افعيا و مراقبة تطورها والعوامل المؤثرة في ذلك التطور والتغير.
- ب-يقتصر الباحث في هذه الحالة على ما كتب حول الموضوع محل الدراسة محل الدراسة المقارنة مثل الكتب ،المقالات و الأبحاث المنشورة و غير المنشورة ومناقشتها اعتمادا على ما يمتلكه من معلومات و معارف سابقة .
- المقارنة الكمية :ويقوم فيها الباحث بحصر البيانات الكمية حول الظاهرة محل الدراسة المقارنة وهنا تبرز أهمية الأساليب الاحصائية حيث يشكل التعداد السكاني والاحصاءات أهم مصدر للبيانات الكمية في الدراسات المقارنة .

4-منهج دراسة الحالة :

1 تعريف منهج دراسة الحالة : هو ذلك المنهج الذي يتجه إلى جمع البيانات العلمية ذات العلاقة بوحدة ،سواء كانت فردا أو مؤسسة ،او نظاما اجتماعيا ،وذلك بقصد الوصول إلى تعميمات متعلقة بالوحدة المدروسة و غيرها من الوحدات المتشابهة (المحمودي، 2019، 56)

2 خصائص منهج دراسة الحالة :من أهم مميزات منهج دراسة الحالة :

-التعمق والتدقيق في الحالة المدروسة والتركيز عليها بعد عزلها ولونسبها أو مؤقتا عن الحالات الأخرى .
-دراسة الحالة دراسة تتبعية بمعنى تتبع الظاهرة أو الحالة محل الدراسة منذ نشأتها مروراً بمراحل تطورها حتى زمن دراستها.
-دراسة الحالة تشبه طريقة الفلاش باك (العرض الاسترجاعي) في الأعمال الفنية و السينمائية حيث يبدأ العمل الفني بلقطة حاسمة ومؤثرة ثم بعد ذلك يكون بقية العمل الفني عبارة عن عرض استرجاعي للمراحل والخطوات التي مر بها بطل العمل الفني أو الأحداث حتى وصل إلى الحالة التي هو عليها والمرحلة التي هو فيها (ابراش ا.، 2008، 199).
-نفس الكلام ينطبق على دراسة الحالة إذا ما افترضنا أن موضوع دراسة الحالة شخصية تاريخية مهمة أو حزب سياسي أو تنظيم نقابي أو حركة اجتماعية ثورية أو شخصية فنية أو اعلامية في هذه الحالة نقوم ببحث استرجاعي لسيرة وعلاقات الحالة محل الدراسة و المراحل التي مرت بها من الأمثلة على ذلك :دراسة الشخصيات السياسية و التاريخية ،دراسة التنظيمات على مختلف أشكالهاإلخ

3 الأدوات المنهجية المستخدمة في منهج دراسة الحالة :

يتم جمع المعلومات والبيانات في منهج دراسة الحالة بالاستعانة بالأدوات المنهجية التالية :

-الملاحظة .

-المقابلة .

-الوثائق والمستلزمات والمقتنيات الشخصية .

-التقارير والتحقيقات والتسجيلات السمعية والبصرية .

-الشهادات الحية والموثقة .

4 خطوات منهج دراسة الحالة :

1-تحديد الظاهرة أو الحالة المطلوب دراستها (شخصية تاريخية، شخصية عامة ،حزب سياسي ،تنظيم معين ،قبيلة ،جماعة معينة ، مؤسسةإلخ).

2-تحديد وضبط المفاهيم والفروض العلمية التي سيستعملها الباحث في دراسة الحالة .

3-التأكد من توفر البيانات والمعلومات المتعلقة بالحالة محل الدراسة والبحث.

-إذا كان الباحث بصدد دراسة فئة أو طبقة اجتماعية يجب عليه اختيار العينة التي تشمل المجتمع المبحوث .

5-تحديد وسائل جمع البيانات كالملاحظة والمقابلة والوثائق الشخصية .

6-تدريب المساعدين على جمع البيانات في حالة استعانة الباحث بالمخبرين في جمع البيانات .

7-استخلاص النتائج ووضع التعميمات .

ما يمكن ملاحظته بخصوص التسميات المعطاة لهذا المنهج متعددة حيث نجه تحت مسمى المنهج المونوغرافي من المونوغرافيا والتي تعنى وصف موضوع مفرد وهنا يجب التمييز بين دراسة الحالة كمنهج يتناول قطاع اجتماعي كالأسرة ،الحزب السياسي ،منظمة ،قبيلة ،أسرة حاكمة فئة مهنية و بين دراسة الحالة لشخص مفرد (زعيم سياسي ،معارض سياسي ،فنان ،كاتب ،عالم ،اعلامي ،مناضل حقوقيإلخ).

نشير إلى أن منهج دراسة الحالة هو واحد من المناهج المهمة في البحوث والدراسات التاريخية والإعلامية وعلم المكتبات .

5-المنهج التجريبي :

1 تعريف المنهج التجريبي:هو ذلك المنهج الذي يتمكن الباحث بواسطته من معرفة أثرالسبب(المتغير المستقل)على النتيجة (المتغير التابع) وذلك باستخدام التجربة (العساف ، 1995 ، 303) .

2 خصائص ومميزات المنهج التجريبي :المنهج التجريبي واحدا من أكثر المناهج العلمية كفاءة ودقة .وهذا راجع لمجموعة من الخصائص والمميزات يتمتع بها هذا المنهج وهي :

-يسمح بتكرار التجارب في نفس الظروف و الشروط سواء من قبل الباحث أو غيره من الباحثين بهدف التأكد من صحة النتائج.

-يتميز بخاصية الدقة في النتائج المتوصل إليها .

-يساعد على إكتشاف العلاقات السببية بين المتغيرات بدقة عالية وبسرعة أكبر.

3 أسس تطبيق المنهج التجريبي : يتأسس المنهج التجريبي على الملاحظة الدقيقة والمضبوطة وذلك من خلال خطة منهجية تحدد فيها المتغيرات المستقلة والتابعة ولكي يتمكن الباحث من تجسيد ذلك لابد من مراعاة جملة من الأسس عند تطبيق المنهج التجريبي وهي (عودة وملكوي، 1999، 120-121) :

-تحديد وتعريف دقيق لجميع العوامل التي تؤثر في المتغير التابع .

-ضبط محكم ودقيق لكل العوامل المؤثرة في المتغير التابع والغرض من ذلك التأكد من أن المتغير المستقل هو سبب النتيجة التي تم التوصل إليها .

-تكرار التجربة قدر الإمكان للتأكد من دقة النتائج المتوصل إليها .

4 خطوات المنهج التجريبي :الخطوات المتبعة في المنهج التجريب لا تختلف كثير عن الخطوات المتبعة في المناهج الأخرى باستثناء مرحلة التجربة أو إجراء التجارب وهذه الخطوات هي (بوداود، 2010، 137):

1-اختيار وتحديد مشكلة البحث.

2-مراجعة الدراسات السابقة للتأكد من عدم دراسة المشكلة سابقا والتعرف على نتائج الدراسات ذات العلاقة بالدراسة الحالية .

3-وضع الأسئلة وصياغة الفرضيات .

4-تحديد المفاهيم والتعريف المصطلحات .

5-اختيار أفراد العينة ووسائل الاختبار والقياس .

6-اختيار التصميم التجريبي.

7-تنفيذ الاجراءات و اجراء التجارب المطلوبة .

8-تحليل وتفسير البيانات وعرض النتائج ومناقشة الفرضيات بالرفض أو القبول .

9-عرض النتائج النهائية في صيغة تقرير لأغراض النشر العلمي .

*أدوات المنهج التجريبي :يعتمد المنهج التجريبي على مجموعة من الأدوات البحثية أهمها

-الملاحظة :وهي المشاهدة الحسية الدقيقة للظواهر والوقائع تعتمد على الحواس وما يساعدها من أجهزة وأدوات مخبرية ولا تقتصر الملاحظة على مجرد المشاهدة بل تتعدى ذلك إلى تصنيف الملاحظات بناء على الاختلافات و التباينات و التشابهات.

-التجربة :هي مجموع الاجراءات المنظمة والمقصودة التي سيدخل من خلالها الباحث في إعادة تشكيل الواقع و من ثم التوصل إلى نتائج من شأنها تأكيد الفرضيات أو نفيها وتصميم التجارب يقتضي كفاءة علمية وبحثية تساعد على حصر كل العوامل والمتغيرات ذات الصلة بالظاهرة المدروسة .

بالإضافة إلى تحديد المتغير المستقل والوقوف على دوره في الظاهرة وكذلك ضبط المتغير التابع كما تقتضي التجربة تحديد مكان وزمان إجرائها والوسائل والتجهيزات الضرورية لتنفيذها واعداد وسائل قياس النتائج واختبار صحتها .

ولتنفيذ التجربة لابد من تحديد نوعين من المتغيرات بشكل دقيق وواضح وهما (عبيدات وآخرون، 1984، 282-283) :

1-المتغير المستقل : وهو المتغير الذي يسعى الباحث إلى قياس مدى تأثيره في الظاهرة المدروسة ويعرف عادة على أن العامل أو المتغير التجريبي .

2-المتغير التابع: وهو نتاج تأثير المتغير المستقل في الظاهرة

و في سياق البحث التجريبي يقوم الباحث بصياغة فرضية في محاولة لإيجاد علاقة بين المتغير المستقل و المتغير التابع و للتمكن من اختبار وجود هذه العلاقة من عدمها ،لابد من استبعاد وضبط تأثير العوامل الأخرى على الظاهرة محل الدراسة لكي يتاح المجال للمتغير المستقل للتأثير على المتغير التابع.

*أنواع التجارب:عند الاستعانة بالتجربة في البحث العلمي هناك نوعان من التجارب هما :

1-التجربة المخبرية (المعملية):وفيهما يتم وضع مفردات العينة محل البحث في بيئة تجريبية أو اصطناعية تتناسب و أهداف البحث و هذا من شأنه مساعدة الباحثين على التحكم أكثر في متغيرات الدراسة .

2-التجربة الميدانية : و فيها يتم إجراء التجارب و اختبار الفروض في بيئة طبيعية عادية ومن أمثلة البيانات التجريبية الميدانية :المدارس ،الجامعات ،المساحات التجارية الكبرى ،التجمعات السكنية ويتميز هذا النوع من التجارب بكون الأفراد فيه أو المبحوثين يتصرفون بشكل تلقائي طبيعي وبدون تصنع حيث انه لا يوجد لديهم شك في أنهم في موضع دراسة أو محل مراقبة (ملاحظة) وذلك لضمان ثبات تصرفاتهم وسلوكياتهم الطبيعية.

6- منهج تحليل المحتوى

ارتبط تحليل المضمون كأداة علمية وكأسلوب منهجي في التحليل منذ ظهوره في أواسط العقد الثاني من القرن الماضي، حيث استخدم للتعرف على أساليب الدعاية، وتعد دراسة كل من (ليبمان "Lipman" و(شارلز ميرز) "Charles mirsse" أول دراسة علمية متكاملة استعملت هذا الأسلوب في تحليل المواد الصحفية المنشورة في الجرائد والمجلات والمواد الإذاعية والتلفزيونية والأفلام والمحادثات والصور(تمار، 2007، 12).

ولم ينحصر تحليل المحتوى (المضمون) في تحليل المواد الإعلامية بل شهد انتقالا إلى مجالات أخرى كالعلوم الاجتماعية وبقية العلوم الإنسانية.

1- مفهوم منهج تحليل المضمون:

يعرفه "كريندورف" Kriendorf " ، بأنه أسلوب في البحث يهدف إلى الخروج باستدلالات صحيحة و شرعية من البيانات الخاصة بالمضمون ،كما يعرفه "بيلرسون Berlson" بأنه أحد الأساليب المنهجية التي تهدف إلى الوصف الموضوعي والمنظم والكمي لمضمون الظاهرة لمادة من مواد الاتصال (طعمة، 2004، 70).

2 استخدامات تحليل المضمون:

يستخدم تحليل المضمون في جوانب محددة لدراسة المادة الإعلامية ويمكن تحديدها في الآتي:

- وصف مضمون الاتصال.
- اختيار فرضيات خصائص الرسائل.
- مقارنة مضمون وسائل الإعلام بالعالم الحقيقي.

- تقييم صورة جماعات معينة في المجتمع.
- إقامة نقطة بدء لدراسة تأثيرات وسائل الإعلام.

3 خطوات تحليل مضمون:

هناك خطوات إجرائية لتطبيق تحليل المضمون نوجزها في النقاط التالية (ابراش ا.، 2008، 199):

- صياغة مشكلة البحث وفرضياته.
- تحديد المجتمع موضوع الاختيار.
- اختيار عينة مناسبة من المجتمع.
- اختيار وحدة التحليل وتعريفها.
- إعداد فئات (التصنيفات/الشرائح) المضمون الذي سيتم تحليله.
- تأسيس نظام حساب كمي.
- تدريب المرمزين وإجراء دراسة استكشافية.
- ترميز المضمون.
- استخلاص الاستنتاجات والبحث عن مؤشرات عليها.

4 خصائص تحليل المضمون:

لتحليل المضمون كمنهج في العلوم الإنسانية جملة من الخصائص المميزة نوضحها في الآتي (تمار، 2007، 12):

- أنه يخص المواد اللغوية وغير اللغوية أي الصورة التعبيرية المرئية أو المسموعة.
- أنه يهتم بمحتوى الظاهرة، بمعنى ما قيل صراحة في أي وثيقة، فتحليل محتوى برنامج حزب سياسي على سبيل المثال، هو العمل على استخراج أهم المواضيع أو الاتجاهات أو القيم أو الأهداف المعبر عنها صراحة في الوثيقة محل التحليل.
- أنه يمكن أن يتناول الرموز الساكنة مثل النصوص المكتوبة أو النصوص المتحركة مثل الأفلام والموسيقى.
- أن الباحث يستعين بتحليل المحتوى إلى جانب تقنيات أو مناهج أخرى، فهو عبارة عن تقنية بحث إضافية تؤكد ما قد لا يستطيع مناهج وتقنيات أخرى الوصول إليه.
- أنه يختص بتحليل الوسائط مهما كان شكلها التي تحمل رسائل يمكن ملاحظة محتواها ومنه تحليلها.

1-5 فئات الشكل: الفئات التي تصف المحتوى الشكلي للمضمون المزمع دراسته وتحاول الإجابة عن السؤال (كيف قيل؟) وعند تحليل شكل المادة فإن لنا الاختيار بين الفئات التالية:

- المساحة: أي الحجم المتاح ضمن الجريدة، المجلة، النشرة... إلخ
- الزمن: زمن العرض ووقته.
- الموقع: موقع المادة في الجريدة، المجلة، الموقع.
- شكل العبارة: صورتها وبنيتها.
- طبيعة المادة المستعملة: الخبر، المقال، التحقيق، الحوادث... إلخ
- اللغة المستعملة: الفصحى، الفصحى البسيطة، العامية، المزدوجة.
- العناصر التيبوغرافية: الكيفية التي يتم بها إخراج المادة الإعلامية : العناوين، الإخراج الفني، الموسيقى، الأصوات، اللقطات، الألوان.
- الصور والرسومات.

2-5 فئة المضمون:

- فئة الموضوع: وتعنى بما يدور المحتوى؟ وما هي المواضيع الأكثر بروزا في المحتوى؟ وتشمل مواضيع اجتماعية، فردية، هواياتية
- فئة الاتجاه: الاتجاه الذي يأخذه المضمون محل التحليل، (مؤيد، معارض، محايد)، الكتب والمقالات التي كتبت حول الإعلام الغربي مثلا، اتجاه مضمون الصحافة الإلكترونية حول قانون الإعدام في الجزائر، التمويل غير التقليدي للاقتصاد مثلا.
- فئة الفاعل: أي الفاعلين الأساسيين في المضمون، أهم الفاعلين في القضايا الوطنية مثلا.
- فئة القيم: القيم في مضامين البرامج الإذاعية، القيم الدينية، القيم الاجتماعية، القيم السياسية.
- فئة الأهداف: البحث في مختلف الأهداف التي يريد المضمون محل الدراسة إبلاغها أو الوصول إليها، وتختلف من بحث لآخر، مثل انشغالات الجزء الأخير من حصة من الملاعب، صباح الخيريا جزائر
- فئة المواقف: يسعى الباحث في هذه الفئة لمعرفة ردود أفعال الأفراد حيال قضية معينة.
- فئة السمات أو الخصائص: هي تلك الفئة التي تبحث خصائص الأفراد والشخصيات المتضمنة في المضمون محل الدراسة، أهم السمات الفردية في التحليل كالجنس، السن، مستوى الذكاء، القدرة على الفهم، الوضع الاجتماعي، وكذا السمات الجماعية كالتقارب بين الأفراد، التنافس بينهم، الجماعة الأولية، السياسات، قصيرة المدى، متوسطة، طويلة المدى.
- فئة المصادر: الأشخاص، الصحف، المحطات الإذاعية، التلفزيون، الكتب، الأفلام والأشرطة الوثائقية.

- فئة الجمهور: تساعد هذه الفئة الباحث في معرفة الجمهور الذي يريد القائم بالاتصال الوصول إليه، طبيعته، سماته، هل هو جمهور خاص أم جمهور عام؟ هل هي فئة معينة أم مجموعة من الفئات مثل: تحليل محتوى القصص المخصصة للأطفال من الأطفال مستواهم التعليمي، جنسهم؟ من خلال تحليل الأفكار والكلمات والصور التي تحملها تلك القصص.

6 وحدات التحليل

هي مقطع محدد من رسالة أو مجموعة من الرسائل محتلة لنفس خصائص وطبيعة الفئة وهي:

- وحدة الكلمة: تصنف الكلمات إلى أفعال، أوصاف، نعوت
- العبارة: أكبر من الكلمة من الناحية السمنطيقية (الدلالية)، تكون متكاملة لإعطاء معنى ودلالة (العالم الثالث، جنوب شرق آسيا، المغرب العربي، شمال إفريقيا، دول الساحل، الأسرة المحرومة، ذوي الاحتياجات الخاصة... إلخ.
- وحدة الجملة: الجملة من الناحية الدلالية تحدد برموز تشير إلى بدايتها ونهايتها كالفاصلة، النقطة،... إلخ وتستخدم في تحليل المحتوى بالإشارة إلى مجموع الجمل ببناءات مختلفة كأن نقول 120 جملة متضمنة ل...و 150 جملة متضمنة ل....
- وحدة الفكرة: الفكرة متضمنة لعبارة أو جملة.
- وحدة الفقرة: الفقرة تعرف بأول حرف في البناء إلى آخر كلمة تتبعها نقطة أو بياض.
- وحدة الموضوع: تكون فئة ووحدة في الوقت ذاته، يستعمل كوحدة عن طريق حساب المواضيع التي قد يحملها المحتوى مثل (السياسة، الاقتصاد،...)
- وحدة اللقطة: تستخدم هذه الوحدة في المضامين البصرية مثل الأفلام السينمائية، التلفزيونية والمسرحيات، (مثل قضية العنصرية وذلك بحساب عدد اللقطات التي تشير إلى الممارسات العنصرية)
- وحدة المقطع: تستخدم في تحليل عدة مضامين مهما كان شكلها، فالمقطع قد يكون فيلم، مسرحية، محتوى مكتوب في الجرائد، الكتب، الخطابات... إلخ، يتم تقسيم المقطع أو المحتوى إلى مقاطع يمكن حسابها وتصنيفها وتحليلها تحليلًا كميًا.
- وحدة الزمن: المدة الزمنية التي توحى بأهمية الموضوع المعروض، حيث تقاس أهمية الموضوع بمدة عرضه، وتستعمل هذه الوحدة لدراسة شكل المادة المعروضة، والباحث هنا يقيس المدة الزمنية التي استغرقها المحتوى في طريقة عرضه (ثواني، دقائق، ساعات).
- السنتمتر مربع (سم²): يستعمل في فئة المساحة، حيث يقوم الباحث بقياس المساحة المخصصة للموضوع المعالج وتعكس هذه الوحدة أهمية الموضوع نسبة إلى مساحته.

كملاحظة بخصوص منهج تحليل المضمون يمكن احد المناهج المسيطرة على البحوث والدراسات الاعلامية و الاتصالية في المرحلة الراهنة.

7- منهج تحليل الخطاب:

تمهيد: يعدُّ الإعلام في عصرنا الحديث المصدر الأساسي لفهم الأحداث حول العالم، وهو يؤدي دورًا حيويًا في تكوين الحقائق في أذهان الناس. وتؤدي وسائل الإعلام دورًا في عملية البناء السياسي وفي تفجير الطاقات الخلاقة داخل الإنسان وشحذها للبناء، وذلك في إطار تغيير القديم، وإحلال الجديد محل القديم من قيم وعادات وسلوك، إلى جانب وظائفها التقليدية (الإخبار والتنقيف والترفيه والترويج والإعلان)، ويؤكد الباحثون أنَّ عملية الاتصال الإعلامي ترسّخ عند المواطن شعورًا بالانتماء إلى الوطن وأمتة وقوميته. ومن وظائف الإعلام التأثير على اتجاهات الرأي العام، والاتجاهات السياسية والاجتماعية، وهي عمليات ضرورية للمجتمع المتنوع ثقافيًا وعرقيًا، والذي يعاني من إشكاليات سياسية واجتماعية معقدة. إنَّ هذه الأدوار المتعددة للإعلام ومكانته الراسخة داخل المجتمعات الانسانية الحديثة، تجعل من الأهمية بمكان الإضاءة على الخطاب الإعلامي، وكيفية فهمه وتحليله وتمحيصه للوصول الى بواطن الخطاب، فتحليل الخطاب هو انتقال من المحتوى الظاهر الى المحتوى الباطن، فهو من جهة يعدُّ ممارسة لغوية ومن جهة أخرى ممارسة اجتماعية ولا يمكن فهمه أو تأويله إلا استنادًا الى هذين الجانبين. انطلاقًا من الدور الأساسي الذي يؤديه الخطاب الإعلامي في التأثير على المتلقّي سوف ننظر هذه الورقة البحثية الى التعريفات المختلفة للخطاب وأهميته من ناحية ربطه بالسياق، كما أبرز الأدوات والمدارس المستخدمة في تحليله.

أولاً: مفهوم الخطاب

يأخذ الخطاب أشكالاً متعددة فهو قد يكون رسالة محكية أو مكتوبة وقد يقتصر على كلمة واحدة لكنها تعبر عن موقف ما كالشتمية على سبيل المثال والتي تعبر عن امتعاض أو غضب المرسل. يقول الباحث محمد شومان: إن الخطاب متحرك ومتغير وله جمهور وهدف وقصد معين وهو يتشكل من مجموعة من النصوص والممارسات الاجتماعية، وهو يتضمن أنواعاً عديدة من النشاط العلاماتي مثل الصور المرئية، والأفلام والرسوم البيانية كما الاتصال غير الشفهي مثل حركات الرأس واليدين (شومان، 2004). في الحقيقة قد يكون الخطاب حركة من دون كلام كرفع شارة النصر للتعبير عن الفخر، أو قذف السياسيين بالبيض كما يحصل أمام البرلمانات للتعبير عن غضب الشعب من سياسات الحكام، أو قذف جورج بوش الابن بالخذاء كما فعل أحد الصحفيين العراقيين (منتصر الزيدي) للتعبير عن احتقاره لبوش ولسياساته في العراق (طنوس، 2014).

1- المعنى اللغوي للخطاب

الخطاب (بكسر الخاء) والمخاطبة هي مراجعة الكلام، والخطاب اسم الكلام الذي يتكلم به الخطيب (لسان العرب). في معجم الوسيط الخطاب يعني الكلام وفصل الخطاب ما ينفصل به الأمر من الخطاب، أو الحكم في البيّنة، والفقه في القضاء وهذا التعريف المرتبط بالآية القرآنية ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكُهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابَ﴾ يشير الى الأبعاد السياسية والاجتماعية للخطاب (المعاني). ويرجع مفهوم الخطاب في اللغة الإنجليزية إلى المصطلح Discourse المأخوذ عن اللاتينية Discourse sas ومعناه الركض هنا وهناك، والذي قد يبدو أنه غير ذي صلة بالمعنى الاصطلاحي للخطاب إلا أنه أصبح يحمل معنى الخطاب بما يعنيه من إرسال، واستقبال أو ما اشتق من معاني منذ القرن السابع عشر، فقد دلّ المصطلح على المحادثة والتواصل والنقاش العميق كما دلّ على تشكيل صيغة معنوية سواء أكانت شفوية أم مكتوبة عن فكرة ما (عبيد، 2016). معجم الدراسات الأدبية يعرف الخطاب أنه "مجموع التعابير الخاصة والتي تحدد بوظائفها الاجتماعية ومشروعها الأيديولوجي" (المشاقبة، 2014، صفحة 100). وفي كتابه الخطاب الشرعي يعرف ادريس حمادة الخطاب أنه "مصدر لفعل

خاطب يخاطب خطابًا مخاطبة، وهو يدلّ على توجيه الكلام لمن يفهم نقل من الدلالة على الحدث المجرد من الزّمن الى الدّلالة على الاسميّة" (حمادي، 1994، صفحة 21).

وكلمة الخطاب مستمدة من فعل "خَطَبَ" ونقول "خطبَ خطبة"، والخطبة تدل على الكلام الذي يتكلم به الخطيب، وقد ذهب أبو بكر بن اسحاق الى أنّ الخطبة عند العرب تعني "الكلام المنثور المشجع ونحوه" (المشاقبة، 2014، صفحة 99).

قاموس Cambridge عرّف الخطاب: أنه التواصل من خلال المحادثة أو الكتابة حول موضوع معيّن، في حين عرّف قاموس لاروس الفرنسي الخطاب: أنّه تطوير خطابي لموضوع محدد أمام جمهور خلال مناسبة عامة أو تعبير مكتوب أو محكي حول حالة معينة. (Cambridge)

ومن ضمن التعريفات القديمة للخطاب ما عرّف ارسطو الخطابة في كتابه "الخطابة Rhetorique" أنّه "قوة تتكلف الأقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة" (بدوي، 2017، صفحة 9).

لقد ورد الخطاب في القرآن الكريم كمصدر في قوله تعالى ﴿أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ (الآية 23 من سورة ص). وأيضًا في الآية عشرين من السورة نفسها، وردت كلمة الخطاب: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ وقوله تعالى في سورة نبا الآية 37 ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾. ووردت بصيغة الفعل في مواضع عديدة في القرآن الكريم منها في سورة هود الآية 37 ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾، وفي ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ الآية 63 من سورة الفرقان. يعرف محمد شومان الخطاب في كتابه تحليل الخطاب الإعلامي بوصفه طريقة معينة للتحديث عن الواقع وفهمه، وهو مجموعة النصوص والممارسات الخاصة بإنتاج النصوص وانتشارها ما يؤدي الى انشاء وفهم الواقع الاجتماعي (شومان، 2007). ويضيف شومان إن الخطاب هو "كل الأشياء التي تكون العالم الاجتماعي بما في ذلك هويتنا، وبعبارة أخرى فإن الخطاب هو واقعنا الاجتماعي وإدراكنا لهويتنا أنّه من دون خطاب لا يوجد واقع اجتماعي، ومن دون فهم الخطاب لا يمكن أن نفهم واقعنا وتجاربنا" (شومان، 2007، صفحة 25).

ويرى مختار الفجيري في كتابه "مفهوم الخطاب" أنّ الخطاب "ليس الكلام صراحة، بل هو الكلام ضمنا، أي الكلام بمعنى جديد. فالكلام في لسانيات الخطاب لم يعد ذلك الذي نعبر عنه عما نريد، بل جُعِلَ لنخفي به ما نريد" (الفجيري، 2014، صفحة 535) ويضيف الفجيري أنّ الخطاب هو الكلام المقموع الذي يعتمد شتى الأساليب التمويهية والحيل الخطابية. في الحقيقة لا يمكن أن نجد تعريفًا موحدًا للخطاب، فقد قدّم الباحثون تعريفات عديدة وتوسعًا عاموديًا و أفقيًا في مفهوم الخطاب، ولكن هذا لا يمنع أن يكون مادة للدراسة حينًا ومنهجًا معتمدًا في أحيان أخرى، ولا يمنع من انتشاره واستخدامه على نطاق واسع في شتى ميادين وتخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية وخصوصًا في عالم الإعلام والسياسة حيث يأخذ الخطاب أشكالًا متعددة. إن عدم الاتفاق على مفهوم الخطاب واستخداماته، لم تمنع من انتشار بحوث تحليل الخطاب ومن بينها تحليل الخطاب الإعلامي والذي يعدّ اليوم من أدوات التحليل الكيفي المهمة للرسائل الإعلامية.

2- المعنى الاصطلاحي للخطاب

يتباين معنى مفهوم الخطاب على المستوى الاصطلاحي ما بين علم (اللغة) اللسانيات، وخارج علم اللسانيات (مدرسة تحليل الخطاب السياسي).

- في علم اللسانيات

إنّ مفهوم الخطاب في علم اللسانيات ينقسم في إطار اتّجاهين البنيوية Structuralism والتفكيكية Deconstruction. يهتم الاتجاه البنيوي بالنسيج اللغوي للنص، ويدرسه بذاته لذاته مهملاً صاحبه ومؤلفه. تنطلق هذه المدرسة من أنّ النصّ

وحده هو المهم، ولا يفيد في شيء أن نتعرف على حياة مؤلفه لكي نفهمه. ويُعدّ دي سوسير رائد البنيوية الأول في العصر الحديث وهو يعدّ الخطاب مرادفًا للكلام. وعدّ آخرون أمثال Zellig Harris أن الخطاب "مفهومٌ طويلٌ أو متتالية من الجمل"، وعند Todrouf هو "أي منطوقٍ أو فعلٍ كلامي يفترض وجود راوٍ ومستمع في نيّة الراوي التأثير على المستمع بطريقة ما" (عبيد، 2016). اتّسمت اتجاهات ما بعد البنيوية بالتفكيكية، وقد ظهرت التفكيكية على يد الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا وروланд بارت، وقد قاما بنقد الفكر البنيوي وذلك بإعلان وفاة المؤلّف أي تحرير النص من سلطة المؤلّف. والمقصد هنا أنّ القارئ له دور في فهم النص، وعملية تفكيك النص أو الخطاب هي أحد العناصر الأساسية في هذا الاتجاه. وهي تهتمّ بتفكيك بنى النص سواء أكانت لغوية أو اجتماعية أو ثقافية أو فلسفية أو مؤسسية، وكلّ ذلك بالطبع يتمّ في تجاهل مقصد المؤلّف وبذلك فإنّ العلاقة بين النص والقارئ علاقة تبادلية وليست علاقة في اتجاه واحد (عبيد، 2016). هكذا أصبح الخطاب بالمعنى اللساني الواسع يعني كلّ إنتاج ذهني منطوق، ومكتوب يقوله فرد أو جماعة حقيقية أو اعتبارية كالمؤسسات المختلفة وهذا الخطاب قد يكون سياسيًا أو اجتماعيًا، وتتمّ من خلاله محادثة عادية أو مقابلة رسمية أو مقالًا مكتوبًا أو رسالة أو وثيقة (نصر، 1990).

ب- مفهوم الخطاب خارج علم اللسانيات (تحليل الخطاب السياسي)

خارج علم اللسانيات ينتهي كلّ من فوكو وإدوارد سعيد لهذا الاتجاه وهو ما يُطلق عليه مدرسة تحليل الخطاب السياسي. تختلف هذه المدرسة عن المدارس اللسانية في نظرتها وتحليلها للخطاب، كما ظهر هذا الاتجاه في الفكر ما بعد الحداثي في فرنسا، وفيه يُنظر إلى العالم أنّه ليس مجرد مجرّة من النصوص، وأنّ بعض النظريات تتجاهل حقيقة أنّ الخطاب متداخل مع السلطة (عبيد، 2016). ذهب ميشال فوكو إلى ما أسماه المنهج الأركيولوجي (التحليل الحفري) وهو أداة منهجية تُستخدم في تحليل الأفكار وأحد أشكال هذا المجال هو تحليل الخطاب. ويعني هذا المنهج بالحفر على الأشياء محاولة إظهارها وإبرازها، ومن ثمّ فهو يقرّر الواقع ولا يفسّره. كما أنّه يهتمّ بالبعد التاريخي من التغيّر الخطابي، فما يمكن قوله يتغيّر من حقبة إلى أخرى فالتاريخ عند فوكو هو ذلك الخطّ المتقطع من الممارسات الخطابية. ويمثّل الخطاب عند فوكو السلطة والقوة كما أنّه هو ذاته يمثّل مجالاً للرغبة والسلطة. أمّا إدوارد سعيد الذي يُعدّ من أتباع فوكو المميّزين، فهو يربط بين الخطاب والصراعات الاجتماعية والسياسية، وقد تجلّى ذلك بوضوح في كتابه (الاستشراق 1978) وقد قام بتناول إدراكات وتصورات الاستعمار وما يُسمّى بالاستعمار الجديد، وكيف انعكست هذه الإدراكات والتصورات في الأفكار والأبحاث التاريخية وفي الجغرافيا والأدب والفلسفة (عبيد، 2016). ولكنّ إدوارد سعيد يختلف عن فوكو في نقطة مهمّة؛ فبينما نجد أنّ فوكو في حفريات المعرفة يهتمّ برصد، وتحليل إنتاج واستخدام المعرفة في السّياق الاجتماعي والتاريخي الأوروبي، نجد أنّ إدوارد سعيد يهتمّ بهذا الرصد والتحليل والإنتاج والاستخدام للمعرفة في السّياق الاستعماري للعالم الثالث، ومحاولات طمس تاريخه وهويته (Said، 1978).

3- الخطاب الإعلامي

يشير محمد شومان في كتابه تحليل الخطاب الإعلامي إلى أنّ هناك غموضًا، وعدم اتفاق بين المدارس حول مفهوم الخطاب الإعلامي منذ ظهور مدارس تحليل الخطاب في مطلع الثمانينات، إلّا أنّه يتابع أنّه يجب التسليم في كون الخطاب الإعلامي ممارسة اجتماعية متغيرة ودائمة التغير، والتطور مضيّفًا أنّ هذا الخطاب ليس شيئًا واحدًا بل هناك عدد من الخطابات الإعلامية المتصارعة، أو المتعاضدة والتي تعكس حقائق اجتماعية متباينة ومصالح متعارضة (شومان، 2007). إن عدم الاتفاق على مفهوم موحد للخطاب، لم يمنع انتشار بحوث تحليل الخطاب الإعلامي والذي يعدّ تطورًا مهمًا في مجال التحليل الكيفي للرسائل الإعلامية، وشروط إنتاجها وتداولها وتأثيرها في الجمهور بالإضافة إلى تفاعلاتها مع الظروف التاريخية والاجتماعية.

يُعدُّ الخطاب الإعلامي عملية اتصاليّة متكاملة تبدأ من منتج الخطاب الإعلامي، الذي ينطلق من فكر أو وجهة نظر أو عقيدة معينة ويعتمد في ذلك على صياغة الخطاب الاتصالي، أي الرسالة بأسلوب محكم من ناحية الشكل والمضمون معتمداً على أساليب الاقناع والتأثير، واختيار الرموز اللفظية والعلاماتية المتنوعة والأشكال والقوالب الفنية عبر وسائل الاتصال التقليدية؛ كالصحف والإذاعة والتلفزيون أو الحديثة كالانترنت، ووسائل التواصل الاجتماعي المتعددة وذلك بمراعاة السياق والظروف والبيئة، التي تحيط العملية الاتصاليّة وتتحكم بمساراتها (محمّد، 2019). وللخطاب الإعلامي وظائف متعددة تندرج بين الإعلام والإخبار من جهة والدعاية من جهة أخرى، والترويج لفكرة أو شخص أو سلعة معينة كما غيرها من الوظائف الاتصاليّة. وبذلك يؤدي الخطاب الإعلامي دوراً أساسياً في تشكيل وعي الأفراد والتأثير في عقول الجماهير، ومسارات الرأي العام بما يتواءم ومصالح القائم بالاتصال مصدر الخطاب (محمّد، 2019).

مما سبق نستنتج أن الخطاب الإعلامي يتشكل من مجموع الرسائل الاتصاليّة الصادرة عن وسائل إعلاميّة متنوعة مكتوبة، ومسموعة ومرئيّة التي تنتج من قبل القائم بالاتصال، وتُنشر وفق سياقات خاصة وتحمل وجهات نظر مختلفة تسعى إلى إحداث تأثير في الجمهور المتلقي مستخدمة مختلف أساليب الاقناع والترويج.

ثانياً: تحليل الخطاب

إنّ تحليل الخطاب هو تقنية تستخدم في العلوم الاجتماعيّة، وتُسمح ليس فقط بدراسة الكلام وإنّما دراسة فعل الكلام لذا يقال عنه منهج "القولفعلية" وبحسب Dominique Maingueneau فإنّ هذا المنهج يحلّل صياغة النص بالنسبة إلى المجتمع أو المكان الاجتماعي الذي أنتج فيه (Maingueneau)، (1998).

إنّ تحليل الخطاب يجيب على "كيف" و"لماذا" بالإضافة إلى الأسئلة الأربعة التقليدية والتي هي "من، ماذا، متى وأين؟" بالتركيز على صياغة النص والسيّاق، الذي ولد فيه بالإضافة إلى نشاط المتحدث.

والخطاب منتج لغويّ ومجرد قراءة هذا الإنتاج اللغوي يعني تحليله، حتى ولو كان هذا التحليل بعيداً من أساليب تفكيك هذا الخطاب واللغويات المستخدمة فيه، وكذلك الأدوات والأساليب المنهجية اللازمة لهذا التحليل (عبيد، 2016).

في هذا السيّاق؛ يرى هاريس (Harris, Z.S) أنّ تحليل الخطاب منهج في البحث في أيّما مادة مشكّلة من عناصر متميّزة ومترابطة في امتدادٍ طوليّ؛ سواء أكانت لغة أم شيئاً شبيهاً باللغة، ومشمّلة على أكثر من جملة أوليّة، إنّها بنية شاملة لشخص الخطاب في جملته أو أجزاء كبيرة منه (عبيد، 2016).

كما يرى هاريس أنّ تحليل الخطاب لا يمكن حصره في عمليّة الصيغ اللغوية المستقلة عن الوظائف، والأغراض التي وضعت وخصّصت هذه الصيغ للقيام بها في المعاملات الإنسانيّة. ولذلك يجب أن يضع محلّل الخطاب في الحسبان ما استُخدمت هذه اللغة من أجله، وليس التركيز على تحديد الخصائص الشكلية للغة كما يفعل بعض الألسنيين (ماكدونيل، 2001). عند الحديث عن تحليل الخطاب تحديداً، فهذا يحيلنا إلى التحليل analyse والذي يأتي بمعنى فكك، والتحليل عند العرب هو تفكيك عناصر الشيء، و"التحليل الكيماوي هو محاولة معرفة ما يدخل في تركيب المواد أو معرفة خصائصها" (طنوس، 2014، صفحة 8). وتحليل الخطاب لا يقتصر على تحليل النصّ أيّ التحليل اللغوي أو اللساني، وإنّما يتعدى ذلك إلى ما يحيط بالنص من ظروف سياسيّة، تاريخيّة، اجتماعيّة ونفسية. والخطاب رسالة أرسلت من طرف وتُلقيت من طرف آخر تبعاً لسياق معين، وتحليل الخطاب يحاول أن يفهم الرسالة التي يريد المرسل لها أن تصل إلى المتلقي تبعاً للسياقات السياسيّة والاجتماعيّة والتاريخيّة واللغويّة. يرى نبيل أيوب في كتابه "النقد النصي وتحليل الخطاب" أنّ الخطاب هو "مجموعة من الملفوظات المتبادلة في موقف تواصل، اختُصّ ليعيّن الحديث المنطوق، وهو يعرف بتماسك أجزائه Cohesion، وترابط أفكاره) "Coherence أيوب، 2011، صفحة 231). الخطاب إذاً رسالة يرسلها المتكلم، ويتلقاها السّامع

تبعاً لسياق معين، وتحليل الخطاب يسعى الى فهم داخل الخطاب وخارجه بما يتناسب مع السياقات السياسية والاجتماعية والتاريخية واللغوية (طنوس، 2014، صفحة 9).

لقد استخدم العالم الهولندي توين فان دايك السياق بمعنى الموقف، أو البيئة الاجتماعية عاذاً أن الطريقة التي يفهم بها الناس بيئتهم الاجتماعية، تحدد سياق الخطاب أو الخطابات وممارستهم الاجتماعية بواسطة مفهوم النماذج الذهنية التي تتحول الى نماذج سياقية (ايوب، 2011) وتتكون النماذج السياقية من عدد من العناصر إضافة الى الهويات والأدوار والمعرفة، ومن مكونات النماذج السياقية المهمة هو مكون المعرفة، إذ يكيّف مستخدمو اللغة ما يكتبونه أو يقولونه وفقاً لما يعتقدون بأن المتلقين يعرفونه.

ويعود مفهوم تحليل الخطاب الى أبحاث فوكو في ستينات القرن الماضي، إذ قام بوضع تعريف للخطاب في كتابه "حفريات المعرفة". ويرى فوكو أن الخطاب هو مجموعة من العبارات بوصفها تنتمي الى ذات التشكيلة الخطابية (formation discursive) فهو ليس وحدة بلاغية أو صورية قابلة لأن تتكرر الى ما لا نهاية. يمكن الوقوف على ظهورها واستعمالها، بل هو عدد محصور من العبارات التي نستطيع تحديد شروط وجودها (فوكو، 1987، صفحة 108). ويقدم فوكو تعريفاً للممارسة الخطابية بوصفها "مجموعة من القواعد الموضوعية والتاريخية المعينة والمحددة دوماً في الزمان والمكان والتي حددت في مدة زمنية بعينها، وفي نطاق اجتماعي واقتصادي وجغرافي ولساني معطى، شروط ممارسة الوظيفة العبارية" (فوكو، 1987، صفحة 109). ويرى فوكو أن الأشياء تقال في ارتباط ببعضها البعض وأن الجملة قد تحتل "معنيين مختلفين في وقت واحد، وأن نفس المعنى الجلي الذي يقبله جميع الناس، قد يخفي خلفه معنى باطناً ما وأن وراء الصيغة المرئية ثمة صيغة أخرى تحكمها وتوجهها" (فوكو، 1987، صفحة 102).

لقد الت ابحاث المدرسة الفرنسية وفقاً لآعمال فوكو، وتلاميذه الى ضبط مفهوم الخطاب ضمن أربعة أصناف وهي صنف "الحقل الخطابي" مثل الخطاب الإسلامي، الخطاب العلماني، الخطاب القومي وغيرها من التصنيفات. وصنف "نمط الخطاب" مثل الخطاب الصحافي، الإداري، السياسي وغيرها من الأنماط أو صنف "انتاجات كلامية" وهي تعنى بصنف من المتكلمين وهنا الحديث عن خطاب لاعبي كرة القدم، خطاب ربات المنازل وغيرها. ونصل أخيراً الى الصنف الأخير وهو "وظيفة الكلام" مثل الخطاب السجالي أو الخطاب الإلزامي وغيرها (الفجيري، 2014، صفحة 534). ويربط الفيلسوف الفرنسي الخطاب بالسلطة عاذاً أن أحد أشكال الخطاب الاجتماعي إنتاج السلطة، إذ إن الخطاب هو موضع استثمار الرغبة والسلطة، ذلك أن الأخيرة تستخدم وسائل قمعية تجزما يمكن أن يُقال، وتقمع ما لا تجيزه فنجد في الخطاب ما هو مسكوت عنه، كما نجد مساحات من الإفصاح والإعلان وذلك تبعاً لما حدّته السلطة المتحكمة (طنوس، 2014).

كما يُعدُّ فوكو أن السلطة تصنع الخطاب "أن الخطاب ينقل السلطة ويقومها ولكنه بالمقابل يلغها، يفجرها، يجعلها هزيلة ويسمح بالغائها" (فوكو، 1987، صفحة 133) ويرى اليامين بن تومي، الأستاذ المحاضر في جامعة سطيف 2 الجزائرية والمتخصص في تحليل الخطاب، أن محلل الخطاب ملزم بالبحث في ما تُستعمل اللغة لأجله، أي أنه يهتم بالجانب الاستعمالي للغة لا الجانب اللغوي أو الفلسفي (تومي، 2015، صفحة 7). فالبعد اللغوي يتعلق بالنص والنص في اللسانية كيان مستقل معزول عن محيطه على عكس الخطاب الذي هو نص منظور اليه في سياقه الاجتماعي. الخطاب إذاً هو مجموع القواعد الدلالية الكتابية والشفوية، وهو الأداة المنهجية التي عمل فوكو على وضعها من أجل أن يعيد الاعتبار لكل العناصر الحافة بالعملية الدلالية، والفاعلة فيها حتى أصبح النص مجرد عنصر من بين عناصر أخرى لا تقل أهمية من أجل صياغة المعنى وتشكيل الدلالة وهذا يعني أن "الخطاب هو كل تلك العناصر مجتمعة في علاقتها بالنص، والتاريخ والسياق وأطراف الدلالة والتواصل" (الفجيري، 2014، صفحة 534).

ثالثاً: أدوات تحليل الخطاب

يعدُّ تحليل الخطاب مدخلاً منهجياً متكاملًا تندرج تحته عدة أدوات منهجية تتيح إمكانية الوصف، واستخلاص الدلالات المختلفة للمادة التي تُحلَّل و إيجاد تفسيرات متعددة لها، ويمكن للباحث استخدام أكثر من أداة في التحليل حتى يتمكن من النفاذ الى عمق الخطاب، وقد تعددت الأدوات المنهجية المستخدمة في تحليل الخطاب و أبرزها:

1- التحليل التوزيقي

يُسمَّى أيضًا "تحليل المنطوق"، وهذا المنهج يعمل على تقطيع النص، وإجراء تحويلات نحوية عليه بغية ردها إلى بنيتها الأكثر بساطة، فيسهل بذلك مقارنتها ببعضها، وتصنيفها ضمن فئات متعادلة نحوية وتخضع هذه العملية المعقدة لقوانين نحوية محددة (الماجد، 2000). ولكن هذا المنهج لا يتناسب إلا مع النصوص القصيرة لأنه يستغرق وقتاً طويلاً في البحث.

2- تحليل القوى الفاعلة

يقوم هذا التحليل على أساس تصوّر الخطاب لمجموعة من الفاعلين ذوي الأهمية (القوى المساعدة الإيجابية والقوى المعاكسة). ورصد الأفعال والأدوار المستوفية لهم في الخطاب المدروس، ويقمّم هذه الأدوات والصفات سلبيًا وإيجابيًا من وجهة نظر الخطاب. ولكن هذه الأداة لا تساعد إلا في تحليل القوى الفاعلة وجزئيًا في تحليل التّصورات والمفاهيم (عبيد، 2016).

3- تحليل حقول الدلالة

يختار الباحث هنا عددًا من المفاهيم التي يريد دراستها في خطابٍ أو نصٍّ ما، ثم يستخرج من النص شبكة علاقات كلّ من هذه المفردات، وبعد ذلك يقوم الباحث بترتيب وتصنيف هذه العلاقات حسب فئات دلالة محدّدة مسبقًا ليحصل الباحث على الشبكات الآتية: (شبكة علاقات المفاهيم – شبكة الصفات والمواصفات – شبكة الأفعال – شبكة المعادلات) (ياسين، 1980).

4- أداة توليمان الحجاجية

يستند هذا النموذج في مرجعيته إلى المنهج الحجاجي الذي عُرف منذ أرسطو، وهو يتّسم بتحقيق التواصل بين الخطيب (المرسل) والمخاطب (المستقبل)، وذلك من خلال قدرة الخطاب الإقناعية، وحججه القويّة والصّادقة وخلوّه من الحجج الضعيفة والمغلوطّة. طوّر هذا المنهج ستيفن توليمان في شكل نموذج يتكوّن من ستّة مفاهيم مع خلوّه من المغالطات داخل الخطاب، والمعارضات من خارجه (عبيد، قضية الهوية الوطنية في الخطاب السياسي السوداني، 2016).

رابعًا: مدارس تحليل الخطاب

تتعدد التخصصات والمدارس اللغوية والألسنية والفلسفية وتتداخل، وهي التي اهتمت بمفهوم الخطاب وتحليله واستخداماته ما أدى في بعض الأحيان الى إحداث غموض في إدراك مفهوم الخطاب، والأسس النظريّة والمعرفيّة لمنهجية تحليل الخطاب واستخداماته ومن هنا تأتي أهمية عرض المدارس المتنوعة وتحليلها، في تحليل الخطاب بشكل عام والخطاب الإعلامي بشكل خاص، وقد اخترنا الوقوف عند أبرز مدارس تحليل الخطاب وهي التحليل السوسولوجي والتحليل السيميائي والتحليل البراغماتي.

1- التحليل السوسولوجي للخطاب

من وجهة نظر سوسولوجية، يُعرّف الخطاب على أنّه أيّ ممارسة يقوم بها الأفراد دامجين الواقع مع المعنى. ومن أجل تحليل الخطاب سوسولوجيًا، ينبغي تحليل الخطاب في البداية على ثلاثة مستويات تحليلية: هي المستوى النصي، والسياقي، والتفسي (Ruiz، 2009).

يتيح لنا التحليل النصي للخطاب وصف الخطاب مع تركيزه بشكل أساسي على الكلام، واحتساب الخطاب موضوع الدراسة. أما التحليل السياقي فهو يتيح لنا فهم الخطاب لأنه يركز على اللفظ والنطق، واحتساب الخطاب فعلاً أو حدثاً فريداً. وأخيراً يقدم التحليل التفسيري شرحاً للخطاب من خلال معالجة الجوانب السوسولوجية واحتساب الخطاب معلومات، أو أيديولوجية أو منتج اجتماعي (Ruiz)، (2009).

1.1 التحليل النصي

يركّز تحليل الخطاب، في المرحلة الأولية، على التناص أيّ التفاعل بين نصين، والعلاقة بين الخطاب والنص واضحة وذات معنى واحد، ولهذا لا ينبغي الخلط بين المفهومين أو عدّهما مفهوماً واحداً. يُعدّ التحليل النصي أنّ الخطاب موضوعاً ما، ويُضفي عليه صفة الموضوعية، ويجعله مثيراً للاهتمام لمن يُقارِبون تحليل الخطاب من وجهة نظر علمية إيجابية (Ruiz)، (2009). ينطوي التحليل النصي على تخصيص أو تحديد تركيبة الخطاب وبنيتها. لا يهدف التحليل النصي إلى تقديم نسخة مختصرة للخطاب من أجل تسهيل دراسته، بل العكس يتوسّع في تقديم المعلومات ويُسهب في تقديمها عبر تقنيتين هما: تحليل المحتوى، والتحليل السيميائي. تحليل المحتوى هو تجزئة النص إلى وحدات من المعلومات، وذلك بحسب رموزها وتصنيفها. وغالباً ما يُعدّ تحليل المحتوى طريقة استقرائية صارمة حتى أنّه يُسمّى بعملية بناء النظرية. هذا النوع من التحليل تديره فئات نظرية محدّدة هي: أهمية النص أو قيمته، وكيفية تقسيمه، والأكثر أهمية من ذلك اعتماد كيفية تصنيف أجزاء النص على الأهداف النظرية للباحث. لا ينفي التحليل السيميائي أهمية المعاني المستخرجة من الخطاب عبر تحليل المحتوى، بل يحولها إلى إشكالية مفادها أنّه لا يمكن تحديد معنى الخطاب من خلال اللغة، أو على الأقل لا يمكن تحديده بأسلوب مطلق وحاسم. لا علاقة هرمية أو مبرمجة بين اللغة والخطاب، بل العلاقة بينهما جدلية إذ تستخدم الخطابات اللغة كوسيلة للتعبير، ولكن ذلك يؤدي أيضاً إلى تعديل اللغة أو تجديدها (Ruiz)، (2009).

1.2 التحليل السياقي

يُفهم السياق على أنّه الحيز الذي يظهر فيه الخطاب وفيه يكتسب الخطاب معنى. وعلى هذا المستوى، يُعدّ الخطاب حدثاً فريداً قام به أشخاص معيّنون في مكان وزمان محدّدين، وضمن عالم من الرموز المحددة ولديهم غاياتهم المنطقية الخاصة. وبناءً عليه، يُقسّم التحليل السياقي إلى نوعين: تحليل سياقي موقفي وتحليل سياقي للعلاقة بين النصوص.

ويتطلّب تحليل الخطاب السياقي وصفاً مفصلاً للظروف التي صدر فيها الخطاب، وخصائص الأشخاص الذين صدر عنهم الخطاب. ويركّز هذا النوع من التحليل أكثر على الجوانب البراغماتية للخطاب، كما أنّه يركّز على التفاعلات، والعمليات الحوارية التي ساهمت في إنتاج الخطاب. يركز النوع الثاني من التحليل السياقي على التحليل المقارن إذ يستنبط معنى الخطاب بالرجوع إلى خطابات أخرى (Ruiz)، (2009).

1.3 التحليل التفسيري

ينطوي التحليل السوسولوجي للخطاب على صناعة الروابط بين الخطابات التي حُلّت وبين الحيز الاجتماعي الذي ظهرت فيه الخطابات. وقد تكون هذه الروابط والصلات متنوعة جداً بحسب التوجّه النظري الخاص بالتحليل. ومن الناحية العملية تنحصر التفسيرات السوسولوجية للخطاب في ثلاثة أنواع هي: التفسير الذي يُعدّ الخطاب معلومة اجتماعية، ونوع آخر يُعدّ انعكاساً للأيديولوجيات التي يعتنقها الأفراد المشاركون في إعداد الخطاب، ونوع ثالث من التفسير يُعدّ الخطاب نتاجاً اجتماعياً (Ruiz)، (2009).

2- التحليل السيميائي للخطاب

مصطلح السيميائية هو علم يبحث في دلالة الإشارات في الحياة وأنظمتها اللغوية، لذا نجد أنّ هذا المفهوم له حيثيات وأصول لتسميته ومكوناته، فالسيميائية والسيميولوجيا تُعنى بالعلامة التي شاع استخدامها كمصطلح غربي في اللفظة السويدية (Semiotique) والفرنسية (Semiotic)، وكلاهما مشتق من الجذر اليوناني (Semeion)، فهي تسعى إلى تواصل معاني الدلالات الواسعة من خلال علامات (Signs)، ونجد أنّ هذين المفهومين قد أتيا بنفس المعنى وهو العلامة (الدباغ، 2017). العلاماتية أو السيميولوجيا هي علم العلامات أو السرورات التأويلية، وهي إحدى علوم اللغة التي تدرس الإشارات، أو العلامات، وفق نظام منهجي خاص يبرز ويحدد الإشارة، أو العلامة اللغوية، أو التصويرية في النصوص الأدبية، وفي الحياة الاجتماعية. والسيميائية كمنهج نقدي هو منهج يهتم بدراسة حياة الدلائل داخل الحياة الاجتماعية، ويحيلنا إلى معرفة هذه الدلائل، وعلتها، وكيونتها، ومجمل القوانين التي تحكمها (رضوان ل.، 2017، صفحة 785).

فالسيميائية إذاً علمٌ يعرفنا على وظيفة هذه الدلائل والقوانين، التي تتحكم فيها ومجال عمله هو اللغة، وهذا ما جعل السيميولوجيا ممارسة استقرائية استنتاجية، تنطلق في تحليلها للنص الأدبي من عدّ "النص يحتوي على بنية ظاهرة، وبنية عميقة، يجب تحليلهما وبيان ما بينهما من علائق" (رضوان ل.، 2017، صفحة 785) وتقوم على إطلاق الإشارات كدوال حرة، لا تقيدها حدود المعاني المعجمية، ويصير للنص فعالية قرائية إبداعية؛ تعتمد على الطاقة التخيلية للإشارة في تلاقي بواعثها مع بواعث ذهن المتلقي، ويصير القارئ المدرب هو صانع النص. تبحث السيميائية عن المعنى من خلال بنية الاختلاف ولغة الشكل والبنى الدالة. وهي لذلك لا تهتمّ بالنص ولا بمن قاله، وإنما تحاول الإجابة عن تساؤل وحيد هو كيف قال النص؟ وما قاله؟ ومن أجل ذلك يفكك النص ويعاد تركيبه من جديد ليحدّد ثوابته البنيوية. إنّ التحليل السيميائي هو ذاته تحليل الخطاب، وهو يميّز بين "السيموتيقا النصية" وبين اللسانيات البنيوية للجملة، ذلك أنّ هذه الأخيرة حين تهتمّ بالجملة تركيباً وإنتاجاً فإنّ السيموتيقا تهتمّ ببناء نظام لإنتاج الأقوال والنصوص وهو ما يُسمّى بالقدرة الخطابية (يوسف، 1997).

3- التحليل التداولي (البراغماتي) للخطاب

يعرّف طه عبد الرحمان كلمة تداول بقوله: "تداول الناس كذا بينهم يفيد معنى تناقله الناس وأداروه فيما بينهم" فمفهوم النقل والدوران مستعملان في نطاق اللغة الملفوظة، فيقال: "نقل الكلام عن قائلٍ بمعنى رواه عنه ويُقال دار على "الألسن" بمعنى جرى عليها والنقل، والدوران يدلان في استخدامهما اللغوي على معنى التواصل وفي استخدامهما التجريبي على معنى الحركة بين الفاعلين فيكون التداول جامعاً بين التواصل والتفاعل فمقتضى التداول يكون القول موصولاً بالفعل (طه، 2007). وجاء في لسان العرب لابن منظور: "التداولية: جذورها "دول": الدولة والدولة والدولة: اسم شيء يتداول" (منظور، 1997، صفحة 432). والتداولية اصطلاحاً هي "علم جديد للتواصل، يدرس الظاهرة اللغوية في مجال الاستعمال" (مسعود، 2005، صفحة 16). ويُعدّ الفيلسوف الأميركي "شارل موريس" أول من استعمل مصطلح التداولية (pragmatique) وذلك سنة 1938 فهو يعرف التداولية على أنّها ذلك العلم الذي يُعنى بالعلاقات بين العلامات ومستخدامها، والذي استقرّ في ذهنه أن تقتصر على دراسة ضمائر التكلّم والخطاب وظرفيّ المكان والزمان "الآن، هنا" والتعابير التي تستقي دلالتها من معطيات تكون جزئياً خارج اللغة نفسها أي من المقام الذي يجري فيه التّواصل "موشلارو أن ريبول، 2003، صفحة 29). لقد ارتبط مفهوم الخطاب بالاستعمال الفعليّ للغة، وليس بالاستعمال المجرد وفي هذه الدّراسة نقوم بدراسة الخطاب بالنظر إلى سياقه الاجتماعي السياسي، ومحاولة فهم الفعل الذي ينتج عن الخطاب وهذا لا يتحقق إلّا من خلال البراغماتية التي تحمل معنى الفعل. pragma: action

والبراغماتية أو التداولية هنا ليست الفلسفة النفعيّة الذرائعية le pragmatisme وإنما المقصود هنا دراسة المعنى كما يعنيه المتكلم، وكما يفسره السّامع أيّ تحليل ما يعنيه المرسل أكثر من ما تعنيه الكلمات منفصلة، هي دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم "بل هي دراسة اللامرئي وهي لا تنفصل عن كيفية الإيصال تبعاً لمقاصد المتكلم والسامع" (طنوس، 2014،

(صفحة 230). لسانياً تعني البراغماتية "دراسة اللغة في علاقتها بالسياق المرجعي لعملية التخاطب، وبالأفراد الذين تجري بينهم العملية التواصلية" (ايوب، 2011، صفحة 239)، وتهتم البراغماتية بالمبادئ التي تحكم تأويل العلامات ليس بالاستناد الى المعاجم ، وإنما على سياق القول وظروفه بما يتخطى المعنى اللغوي الى الحركات والايماءات كحركة الوجه والجسد وطريقة لفظ الكلمات. والبراغماتية تسمح بفهم وقراءة الدلالات اللغوية وغير اللغوية من تنغيم للصوت أو من حركات الجسد.

ولدت البراغماتية من التقاء العديد من التخصصات والاتجاهات، وهي ليست نظاماً مستقلاً وموحداً إذ لم يتفق العلماء، والباحثين على تحديدها وتوصيفها توصيفاً دقيقاً تمام كما هو الحال مع مفهوم الخطاب بشكل عام. تشكل البراغماتية في الحقيقة مفترق طرق متعدد الاختصاصات من لغويين وعلماء منطق، وفلاسفة وعلماء نفس واجتماعيين ما يجعل لهذه المقاربة ثراءً مميزاً. ظهرت المقاربة البراغماتية للخطاب مع تطور الدراسات حول تحليل الخطاب في القرن العشرين، التي كانت تتناول الخطاب من وجهة نظر علم الدلالة *semantique* التي تدرس علاقة الاشارات والكلمات والجمل بالاشياء وحالات الاشياء، يدرس هذا المنهج اذا المعنى والمرجع والحقيقة. ومن ناحية أخرى المنهج اللغوي *syntaxique* والذي يدرس علاقة الدلالات في ما بينها والكلمات التي تشكل الجملة وتسلسل الجمل، يحاول هذا المنهج صياغة قواعد التعبير وقواعد تحويل العبارات الى عبارات أخرى بهدف إيجاد قوالب للتعبير الأفضل. لكن هذين المنهجين لا يستنفدان مشكلة المعنى، والحقيقة وهنا ظهر المنهج البراغماتي الذي يدرس علاقة الإشارات بمستخدميها والجمل بمطلقها (Carnap)، (2007 ويحدد المنهج البراغماتي ثلاثة مفاهيم أساسية في الخطاب:

- الفعل أو فعل الكلام: اللغة لا تخدم فقط تمثيل العالم، وإنما تقوم بإنجاز فعل فالكلام هو الفعل، إنه على سبيل المثال تصرف مع الآخرين ، هو إذا فعل الكلام وتوجيه مفهوم الفعل هذا نحو مفاهيم أكثر عدلاً وشمولية للفعل والتفاعل.
- مفهوم السياق: الظروف التي حصل فيها نطق الخطاب، والتي تشمل الزمان والمكان والوقت وهوية المتحدثين وكل ما يجب معرفته من أجل فهم وتقييم ما يقال. وتظهر أهمية السياق عندما تصل رسالة مجهولة من طرف مجهول المكان، والزمان فتصبح الرسالة غامضة وغير واضحة.
- مفهوم الأداء: يفهم منه وفقاً للمعنى الأصلي للكلمة انجاز الفعل في السياق، أي معرفة كفاءة المتحدثين ومعارفهم واتقانهم للقواعد، ويمكن تسميتها الكفاءة التواصلية.

يرى "فان داك" أن الخطاب مجموعة متكاملة من الأفعال الكلامية "فعندما يكون فعلاً كلامياً مترابطين، فإن الفعل الأول يكون شرطاً ممكناً لتحقيق الفعل الثاني. وكذلك تُربط القضايا المتتابعة بالقضية الكبرى الشاملة" (ايوب، 2011، صفحة 240).

في الحقيقة إن الناس لا يتذكرون الأفعال الكلامية التفصيلية، التي يتضمنها الخطاب إنما يأخذون الخلاصة من الخطاب، أو الهدف منه أي الفعل الكلامي الأكبر والأشمل وبذلك لا يقتصر فهم الخطاب على البعد الشكلي أي البنية التنظيمية للخطاب، أو على البعد الدلالي أي موضوع الخطاب إنما صار يشمل البعد البراغماتي الذي يأخذ بالحسبان الفعل الكلامي العام بالإضافة الى أفعال الاتصال الأخرى (ايوب، 2011)

وتهتم البراغماتية بشكل أساسي بفهم المضمر من الكلام، فالمعلن منه هو المعبر عنه مباشرة في الملفوظة أي الصريح والواضح الذي لا لبس فيه، أما المضمر فهو ما يمكن أن تحتمله الأقوال ويُستخرج استنباطاً أو استقراء بعد وضع الملفوظة في سياق معين. تستعين البراغماتية بأفعال الكلام من أجل فهم قصديّة التواصل، تبعاً لنظرية الباحث الإنكليزي جون أوستين الذي يُعدّ أن "القول يعني الفعل" أي أن المتكلم عند استعماله اللغة، يقوم بفعل وعند تلفظه في موقف يعيّن

تنكشف قصديته" (ايوب، 2011، صفحة 240). والمراد من هذه النظرية أن المتكلم عند استعماله اللغة لا ينتج كلمات إنما يقوم بفعل، وعند تلفظه في موقف معين تنكشف قصديته "فأفعال الكلام هي الملفوظات المتحققة فعلاً من قبل متلفظ ما في موقف ما" (ايوب، 2011، صفحة 240). في العام 1955 قدّم الفيلسوف البريطاني جون أوستين سلسلة محاضرات في جامعة هارفرد تحت عنوان "ماذا نفعل حين نتكلم؟" وقد أحدثت ضجة كبيرة عند اللسانيين والفلاسفة وعلماء الاجتماع، ونشرت محاضراته في كتاب تحت عنوان "حين نتكلم نفعل" وأصبح مفهوم الفعل الكلامي نواة مركزية في الدراسات التداولية. لقد قسم أوستين الأفعال الكلامية إلى ثلاثة أقسام:

• فعل القول acte locutoire :

ويعني بذلك تأدية الأصوات أي القول وصوته، والجهد الذهني الذي يتطلبه والمفاهيم الممثلة بكلمات والربط في ما بينها.

• فعل تحقيقي acte illocutoire: أو فعل قوة القول وهو ينتج مما يؤديه فعل القول الأول من معنى إضافي إلى جانب معناه الأول المباشر (ايوب، 2011) وهي بمعنى آخر ما ينتج عن الأفعال الكلامية من أمر أو وعد أو تهديد "فالمتكلم حين يتلفظ بقول ما ينجز دلالة قصدية تحدث تغييراً في وضع المتخاطبين وهو ما سماه أوستين بقوة الفعل" (ايوب، 2011، صفحة 240).

• فعل أثر القول acte perlocutoire: أو الفعل الناتج عن القول، وهو الأثر الذي يحدثه فعل القول التحقيقي في المتلقي. ويرى أوستين أن المتكلم قد يتسبب للمخاطب بردة فعل فكرية أو شعورية: كالإقناع أو الإرشاد أو التضييل أو الحماسة أو التثبيط (طنوس، 2014)

8-المنهج السيميولوجي :

مفهوم السيميولوجيا وخطواتها المنهجية: السيميولوجيا هو علم العلامات أو الإشارات أو الدول اللغوية أو الرمزية سواء أكانت طبيعية أم اصطناعية، ويعني هذا أن العلامات إما يضعها الإنسان اصطلاحاً عن طريق اختراعها واصطناعها والاتفاق مع أخيه الإنسان على دلالاتها ومقاصدها مثل: اللغة الإنسانية ولغة إشارات المرور، أو أن الطبيعة هي التي أفرزتها بشكل عفوي وفطري لادخل للإنسان في ذلك كأصوات الحيوانات وأصوات عناصر الطبيعة والمحاكيات الدالة على التوجع والتعجب والألم والصراخ مثل: آه، أي.....

وإذا كانت اللسانيات تدرس كل ماهو لغوي ولفظي، فإن السيميولوجيا تدرس ما هو لغوي وماهو غير لغوي، أي تتعدى المنطوق إلى ماهو بصري كعلامات المرور ولغة الصم والبكم والشفرة السرية ودراسة الأزياء و طرائق الطبخ. وإذا كان فرديناند دوسوسير F.De.Saussure يرى أن اللسانيات هي جزء من علم الإشارات أو السيميولوجيا Sémiologie ، فإن رولان بارت R.Barthes في كتابه "عناصر السيميولوجيا" يقلب الكفة فيرى بان السيميولوجيا هي الجزء واللسانيات هي الكل. ومعنى هذا أن السيميولوجيا في دراستها لمجموعة من الأنظمة غير اللغوية كالأزياء والطبخ والموضة والإشهار تعتمد على عناصر اللسانيات في دراستها وتفكيكها وتركيبها . ومن أهم هذه العناصر اللسانية عند رولان بارت نذكر: الدال والمدلول، واللغة والكلام، والتقرير والإيحاء، والمحور الاستبدالي الدلالي والمحور التركيبي النحوي. وإذا كان الأنغوسكسونيون يعتبرون السيميولوجيا إنتاجاً أمريكياً مع شارل ساندريس بيرس Perce في كتابه "كتابات حول العلامة"، فإن الأوربيين يعتبرونها إنتاجاً فرنسياً مع فرديناند دوسوسير في كتابه "محاضرات في علم اللسانيات" سنة 1916م. وإذا كانت

السيمولوجيا الأمريكية مبنية على المنطق وفلسفة الأشكال الرمزية الأنطولوجية (الوجودية) والرياضيات، فإن السيمولوجيا الفرنسية مبنية على الدرس اللغوي واللسانيات.

وإذا كان مصطلح السيمولوجيا يرتبط بالفرنسيين وبكل ماهو نظري وبفلسفة الرموز وعلم العلامات والأشكال في صيغتها التصورية العامة ، فإن كلمة السيميوطيقا الأمريكية Sémiotique قد حصرها العلماء في ماهو نصي وتطبيقي وتحليلي. ومن هنا يمكن الحديث عن سيميوطيقا المسرح وسيميوطيقا الشعر وسيميوطيقا السينما. وعندما نريد الحديث عن العلامات علميا أو نظريا أو تصوريا نستخدم كلمة السيمولوجيا Sémiologie.

وتتعدد الاتجاهات السيمولوجية ومدارسها في الحقل الفكري الغربي، إذ يمكن الحديث عن سيمولوجيا بيرس، وسيمولوجيا الدلالة، وسيمولوجيا التواصل، وسيمولوجيا الثقافة مع المدرسة الإيطالية (أمبرطو إيكو Eco وروسي لاندي Landi)، والمدرسة الروسية "تارتو Tartu" (أوسبنسكي Uspenski ويوري لوتمان Lotman وتوبوروف Toporov وإفانوف Ivanov وبياتيغورسكي Pjtigorski)، ومدرسة باريس السيميوطيقية مع جوزيف كورتيس Cortés وگريماس Greimas وميشيل أريفي M.Arrivé وجان كلود كوكيه Coquet وكلام Calame وفلوش Floche وجينيناسكا Geninasca وجيولتران Gioltrin ولوندوفسكي Landovski ودولورم Delorme، واتجاه السيميوطيقا المادية التي تجمع بين التحليلين: النفسي والماركسي مع جوليا كريستيفا J.kréstiva، ومدرسة ليون التي تتمثل في جماعة أنتروفرن Groupe d'Entroverne، ومدرسة إيكس Aix مع جان مولينو J.molino وجان جاك ناتير J.Natier التي تهتم بدراسة الأشكال الرمزية على غرار فلسفة إرنست كاسيرر Cassirer. ولكن على الرغم من هذه الاتجاهات العديدة يمكن إرجاعها إلى قطبين سيمولوجيين وهما: سيمولوجيا التواصل وسيمولوجيا الدلالة. إذاً، ماهي منهجية التحليل السيميوطيقي؟

2- خطوات المنهج السيمولوجي: قلنا سابقا إن السيمولوجيا علم الدوال اللغوية وغير اللغوية ، أي تدرس العلامات والإشارات والرموز والأيقونات البصرية. كما تستند السيمولوجيا منهجيا إلى عمليتي التفكيك والتركيب (تشبه هذه العملية تفكيك أعضاء الدمية وتركيبها) على غرار البنيوية النصية المغلقة. ونعني بهذا أن السيميوطيقي يدرس النص في نظامه الداخلي البنيوي من خلال تفكيك عناصره وتركيبها من جديد عبر دراسة شكل المضمون وإقصاء المؤلف والمرجع والحيثيات السياقية والخارجية والتي لا ننفذ عليها إلا من خلال التناص لمعرفة التداخل النصي وعمليات التفاعل بين النصوص وطبيعة الاشتقاق النصي وتينير الترسيبات الخارجية والمستنسخات الإحالية داخل النص المرصود سيميائيا. وعليه، فالسيميوطيقا هي لعبة التفكيك والتركيب تبحث عن سنن الاختلاف ودلالاته. فعبر التعارض والاختلاف والتناقض والتضاد بين الدوال اللغوية النصية يكتشف المعنى وتستخرج الدلالة. ومن ثم، فالهدف من دراسة النصوص سيميوطيقا وتطبيقا هو البحث عن المعنى والدلالة و استخلاص البنية المولدة للنصوص منطقيا ودلاليا. ونحصر منهجية السيميوطيقا في ثلاثة مستويات وهي:

أ- التحليل المحايث: ونقصد به البحث عن الشروط الداخلية المتحركة في تكوين الدلالة وإقصاء كل ماهو إحالي خارجي كظروف النص والمؤلف وإفرازات الواقع الجدلية. وعليه، فالمعنى يجب أن ينظر إليه على أنه أثر ناتج عن شبكة من العلاقات الرابطة بين العناصر.

ب- التحليل البنيوي: يكتسي المعنى وجوده بالاختلاف وفي الاختلاف. ومن ثم، فإن إدراك معنى الأقوال والنصوص يفترض وجود نظام مبني على مجموعة من العلاقات. وهذا بدوره يؤدي بنا إلى تسليم بأن عناصر النص لا دلالة لها إلا عبر شبكة من العلاقات القائمة بينها. ولذا لا يجب الاهتمام إلا بالعناصر التي تبلور نسق الاختلاف والتشاكلات المتألفة والمختلفة. كما يستوجب التحليل البنيوي الدراسة الوصفية الداخلية للنص ومقاربة شكل المضمون وبناء الهيكلية والمعمارية.

ت- تحليل الخطاب: إذا كانت اللسانيات البنيوية بكل مدارسها واتجاهاتها تهتم بدراسة الجملة انطلاقاً من مجموعة من المستويات المنهجية حيث تبدأ بأصغر وحدة وهي الصوت لتنتقل إلى أكبر وحدة لغوية وهي الجملة والعكس صحيح أيضاً، فإن السيميوطيقا تتجاوز الجملة إلى تحليل الخطاب. وتسعفنا هذه المستويات المنهجية كثيراً في تحليل النصوص ومقاربتها. ففي مجال السرد يمكن الحديث عن بنيتين: البنية السطحية والبنية العميقة على غرار لسانيات نوام شومسكي Chomsky. فعلى المستوى السطحي يدرس المركب السرد الذي يحدد تعاقب وتسلسل الحالات والتحويلات السردية، بينما يحدد المركب الخطابي في النص تسلسل أشكال المعنى وتأثيراتها.

وإذا انتقلنا إلى البنية العميقة فيمكن لنا الحديث عن مستويين منهجين: المستوى السيميولوجي الذي ينصب على تصنيف قيم المعنى حسب ما يقوم بينهما من العلاقات والتركيز على التشاكلات السيميولوجية، والمستوى الدلالي وهو نظام إجرائي يحدد عملية الانتقال من قيمة إلى أخرى ويبرز القيم الأساسية والتشاكل الدلالي.

ويعد المربع السيميائي Le Carré Sémiotique حسب غريماس المولد المنطقي والدلالي الحقيقي لكل التظاهرات السردية السطحية عبر عمليات ذهنية ومنطقية ودلالية يتحكم فيها التضاد والتناقض والتضمن أو الاستلزام. أما سيميولوجيا الشعر فتحلل النص من خلال مستويات بنيوية تراعي أدبية الجنس الأدبي كالمستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى الدلالي، والمستوى التركيبي في شقيه: النحوي والبلاغي، والمستوى التناسي. أما فيما يتعلق بالمسرح فيدرس من خلال التركيز على العلامات المسرحية اللغوية والعلامات غير اللغوية. وبتعبير آخر يدرس المسرح عبر تفكيك العلامات المنطوقة (الحوار والتواصل اللغوي بصراعه الدرامي وتفاعل الشخصيات والعوامل الدرامية....) والعلامات البصرية (السينوغرافيا- التواصل- الديكور- الركن- الإنارة- الأزياء- الإكسسوارات- البانتوميم- الكوريفيا...).

3- سيميولوجيا التواصل: يستند التواصل حسب رومان جاكوبسون R.Jakobson إلى ستة عناصر أساسية وهي: المرسل والمرسل إليه والرسالة والقناة والمرجع واللغة. وللتوضيح أكثر نقول: يرسل المرسل رسالة إلى المرسل إليه حيث تتضمن هذه الرسالة موضوعاً أو مرجعاً معيناً، وتكتب هذه الرسالة بلغة يفهما كل من المرسل والمتلقي. ولكل رسالة قناة حافظة كالظرف بالنسبة للرسالة الورقية، والأسلاك الموصلة بالنسبة للهاتف والكهرباء، والأنابيب بالنسبة للماء، واللغة بالنسبة لمعاني النص الإبداعي... هذا، وتهدف سيميولوجيا التواصل عبر علاماتها وأماراتها وإشاراتنا إلى الإبلاغ والتأثير على الغير عن وعي أو غير وعي. وبتعبير آخر تستعمل السيميولوجيا مجموعة من الوسائل اللغوية وغير اللغوية لتنبيه الآخر والتأثير عليه عن طريق إرسال رسالة وتبليغها إياه. ومن هنا فالعلامة تتكون من ثلاثة عناصر: الدال والمدلول والوظيفة القصدية. كما أن التواصل نوعان: تواصل إبلاغي لساني لفظي (اللغة) وتواصل إبلاغي غير لساني (علامات المرور مثلاً).

ويمثل هذه السيميولوجيا كل من برييطو Prieto ومونان Mounin وبويسنس Buysens الذين يعتبرون الدليل مجرد أداة تواصلية تؤدي وظيفة التبليغ وتحمل قصداً تواصلية. وهذا القصد التواصلية حاضر في الأنساق اللغوية وغير اللغوية. كما أن الوظيفة الأولية للغة هي التأثير على المخاطب من خلال ثنائية الأوامر والنواهي، ولكن هذا التأثير قد يكون مقصوداً وقد لا يكون مقصوداً. ويستخدم في ذلك مجموعة من الأمارات والمعينات Indications التي يمكن تقسيمها إلى ثلاث: 1- الأمارات العفوية وهي وقائع ذات قصد مغاير للإشارة تحمل إبلاغاً عفوية وطبيعياً مثال : لون السماء الذي يشير بالنسبة لصياد السمك إلى حالة البحر يوم غد. والأمارات العفوية المغلوطة التي تريد أن تخفي الدلالات التواصلية للغة كأن يستعمل متكلم ما لكنة لغوية ينتحل من خلالها شخصية أجنبية ليوهمنا بأنه غريب عن البلد. 3- والأمارات القصصية التي تهدف إلى تبليغ إرسالية مثل : علامات المرور، وتسمى هذه الأمارات القصصية أيضاً بالعلامات. وكل خطاب لغوي وغير لغوي يتجاوز الدلالة إلى الإبلاغ والقصصية الوظيفية، يمكننا إدراجه ضمن سيميولوجيا التواصل. وكمثال لتبسيط ما سلف ذكره : عندما يستعمل الأستاذ داخل قسمه مجموعة من الإشارات اللفظية وغير اللفظية الموجهة إلى التلميذ ليؤنبه أو يعاتبه على سلوكاته الطائشة فإن الغرض منها هو التواصل والتبليغ.

4- سيميولوجيا الدلالة: يعتبر رولان بارت خير من يمثل هذا الاتجاه، لأن البحث السيميولوجي لديه هو دراسة الأنظمة والأنسقة الدالة. فجميع الوقائع والأشكال الرمزية والأنظمة اللغوية تدل. فهناك من يدل باللغة وهناك من يدل بدون اللغة المعهودة، بيد أن لها لغة خاصة. ومادامت الأنساق والوقائع كلها دالة، فلا عيب من تطبيق المقاييس اللسانية على الوقائع غير اللفظية أي الأنظمة السيميوطيقية غير اللسانية لبناء الطرح الدلالي. وقد انتقد بارت في كتابه "عناصر السيميولوجيا" الأطروحة السوسيسيرية التي تدعو إلى إدماج اللسانيات في السيميولوجيا مبيناً بأن "اللسانيات ليست فرعاً، ولو كان مميزاً، من علم الدلائل، بل السيميولوجيا هي التي تشكل فرعاً من اللسانيات".

وبالتالي، تجاوز رولان بارت تصور الوظيفيين الذين ربطوا بين العلامات والمقصدية، وأكد وجود أنساق غير لفظية حيث التواصل غير إرادي، ولكن البعد الدلالي موجود بدرجة كبيرة. وتعتبر اللغة الوسيلة الوحيدة التي تجعل هذه الأنساق والأشياء غير اللفظية دالة. حيث "إن كل المجالات المعرفية ذات العمق السوسيولوجي الحقيقي تفرض علينا مواجهة اللغة، ذلك أن "الأشياء" تحمل دلالات. غير أنه ما كان لها أن تكون أنساقاً سيميولوجية أو أنساقاً دالة لولا تدخل اللغة ولولا امتزاجها باللغة. فهي، إذًا، تكتسب صفة النسق السيميولوجي من اللغة. وهذا مادفع ببارت إلى أن يرى أنه من الصعب جداً تصور إمكان وجود مدلولات نسق صور أو أشياء خارج اللغة، فلا وجود لمعنى إلا لما هو مسمى، وعالم المدلولات ليس سوى عالم اللغة".

أما عناصر سيمياء الدلالة لدى بارت فقد حددها في كتابه "عناصر السيميولوجيا"، وهي مستقاة على شكل ثنائيات من الألسنية البنيوية وهي: اللغة والكلام، والبدال والمدلول، والمركب والنظام، والتقريب والإيحاء (الدلالة الذاتية والدلالة الإيحائية). وهكذا حاول رولان بارت التسليح باللسانيات لمقاربة الظواهر السيميولوجية كأنظمة الموضوعة والأساطير والإشهار... الخ ويعني هذا أن رولان بارت عندما يدرس الموضوعة مثلاً يطبق عليها المقاربة اللسانية تفكيكا وتركيباً من خلال استقراء معاني الموضوعة ودلالات الأزياء وتعيين وحداتها الدالة ومقاصدياتها الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والثقافية. ونفس الشيء في قراءته للطبخ والصور الفوتوغرافية والإشهار واللوحات البصرية.

9-المنهج الإثنوغرافي : مع تنامي الظاهرة الاتصالية في المجتمعات الحديثة، ظهرت الحاجة لوجود مقرب معرفي أنثروبولوجي لدراسة ظاهرة الاتصال من الناحية التطبيقية، وقد وجد هذا المقرب المعرفي أساسا نظريا من أنثروبولوجيا الاتصال، ومن الدراسات الميدانية للإثنوغرافيا التي درست الأمم والمجتمعات دراسة وصفية ميدانية.

ومع تعاظم هذا النوع من الدراسات الميدانية، تحولت الإثنوغرافيا إلى دراسة المجتمعات الحضرية أو الصناعية، كما استخدم المنهج الإثنوغرافي كذلك في دراسة الثقافات الفرعية داخل المجتمعات الحديثة، وفي إجراء البحوث الميدانية على مؤسسات داخل المجتمع الصناعي الحديث.

ترتكز إثنوغرافيا الاتصال على محددات أساسية لكل من الاتصال، وتفاعل الإنسان مع أدوات ووسائل الاتصال، وكذلك دراسة الظاهرة الاتصالية المتنامية داخل المجتمعات الحديثة، خاصة مع بروز وتطور التكنولوجيا الحديثة، ووسائل الاتصال التقليدية وغير التقليدية.

1- لماذا إثنوغرافيا الاتصال:

تبحث إثنوغرافيا الاتصال في السلوك التواصلي واللغوي في سياق ثقافة معينة للفرد أو الجماعة، ويرتكز العمل في هذا المجال على ما يحتاج المتحدث إلى معرفته لكي يتواصل تواصلا مناسباً في مجتمع كلامي، كما يتركز أيضاً على كيفية تعلم هذه المعرفة واستخدامها، وتركز التحليلات على نظام الأحداث التواصلية في مجتمع كلامي، وكيف ينقل المعنى الاجتماعي عن طريق هذه الأحداث، ويضم نتائج مثل هذه الدراسات أوصافاً إثنوغرافية لكيفية عمل التواصل في مجتمعات متنوعة، وكما يقول سافيل-ترويك، فإن الاختصاصيين في الدراسة الإثنوغرافية للاتصال يبينون عملهم على فرض أن اللغة لا بد من النظر إليها بوصفها ظاهرة اجتماعية، حيث تنظر الدراسة الإثنوغرافية للاتصال الثقافي أولاً وقبل كل شيء بوصفها صيغة ثقافية تقع داخل المجتمع، مع إدراك أهمية تحليل النظام الرمزي نفسه، والعمليات الذهنية للمتكلمين به ومتعلميه.⁽¹⁾

(1) - احمد شفيق الكاتب: البحث الإثنوغرافي، موقع الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين، www.wata.cc تاريخ الاطلاع 31مارس 2019.

إنّ ما يميّز البحث الإثنوغرافي عن بقية الأبحاث الكمية هو عدم وجود فرضيات مسبقة ومحاوّر صارمة للأسئلة التي تقود البحث، حيث أن هذا الوضع يحد ذاته غير مريح لدى بعض الباحثين، ويؤدي إلى إشكالات خصوصا في بداية البحث، هذا ما حصل مع كثير من الباحثين الإثنوغرافيين الذين لم تتبلور أسئلة الدراسة معهم إلا بعد مرور فترة من الزمن استطاعوا من خلالها التخلي عن كثير من الأفكار التي توقعوها قبل دخولهم الميدان، ولجئوا إلى أفكار أخرى شكل محور اهتمامهم أثناء وجودهم في الميدان، لكن هذا لا يعفي الباحث من تحديد إطار عام، وخطوط عريضة تمكن من تحديد زاوية النظر للبحث.⁽²⁾

وقد أوضح جورج روجن روش jurgenruesch، أنه عندما نقوم بدراسة الاتصال من أي موقع ثقافي، لا بد على الباحث أن يأخذ بعين الاعتبار في إستراتيجية عمله المعطيات التالية:

- أعضاء المجتمع المبحوث يلتزمون بالتعميم في حديثهم حتى عن الثقافة الخاصة بهم.
- يجب أن يلاحظ الباحث التفاعل والاتصال بين أعضاء الجماعة كملاحظ محايد.
- يأتي فهم الباحث في جزء كبير من تفاعله الخاص مع بعض أعضاء المجموعة.⁽³⁾

ويظهر جليا مما سبق أن كل فعل أو سلوك أو شيء ما يمكن أن يكون حاملا لرسالة اتصالية، وتعتبر بالتالي "الثقافة" نسقا محركا لكل سلوك اتصالي، وهو ما يؤكد عليه ايف وينكن كأنتروبولوجي، حيث أكد أن امتداد الاتصال في الأنثروبولوجيا، يجب أن يكون مرتبطا بامتداد الاتصال في الثقافات والجماليات على الدراسة الإثنوغرافية التي تقوم عليها الوقائع والنظريات الأنثروبولوجية في كل ثقافة أو جماعة، فإن السلوك والأشياء يتم تنظيمها واستعمالها، والتردد عليها، وتأويلها بشكل انتقائي وفق قيمتها الاتصالية.⁽⁴⁾

2- نموذج التحدث speaking لهيمس دال hymes dell:

(2) - نادر وهبة ، مرجع سابق، ص35.

(3) - انظر: بوجمعة رضوان: أشكال الاتصال التقليدية في منطقة القبائل، محاولة تحليل أنثروبولوجي، دكتوراه دولة في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 03، السنة الجامعية 2006-2007، ص97.

(1) - yeveswinkin: anthropologie de la conomunication, de la théorie au errain, de boeck, université de bruxelles, 1996,p11.

هو أحد وأهم النماذج التي يعتمد عليها الإثنوغرافي في دراسته الاتصالية داخل أي جماعة من الجماعات، حيث اقترح هيمس دال نموذج speaking والذي حدّد له هدفاً معيناً، وهو تزويد الباحثين بإطار وصفي ومنهجي، يأخذ بعين الاعتبار التغير والتقلب الثقافي لأنساق الاتصال، والذي يسمح بمقارنة دور الكلام في مجتمعات مختلفة، ويحتوي هذا النموذج على ثمانية مكونات، حدّدها فيما يلي:

- السياق setting: وحددها في مكان، وقت وأجواء الاتصال.
 - المشاركون participants: كل المشاركين سواء كانوا أخذوا الكلمة أولاً.
 - الغايات ends: ويقصد به هدف ونتائج اللقاء.
 - الأفعال أو المنتج acts: ويقصد به الرسائل في حدّ ذاتها، في موضوعها وفي شكلها.
 - النبذة keys: خصائص الرسائل، وكذلك نبرتها.
 - الوسائل والأدوات instrumentalities: ويقصد بها وسائل الاتصال، وتتضمن الوسائط، والقنوات، اللغة المنطوقة، المغناة، المكتوب، المدونات، لغات، لهجات...
 - المعايير norms: معايير التفاعل التي تضبط أخذ الكلمة وتوزيعها، ومعايير التأويل التي تأخذ بعين الاعتبار الخلفيات، والاختلافات الاجتماعية والثقافية.
 - الأنواع genres: ويقصد بها أنواع وأنماط الخطابات، أي الفئات التي يصف من خلالها أعضاء جماعة ما نشاطاتهم اللفظية، قصص، حكايات غريبة، ماسي... الخ...⁽⁵⁾
- لقد عدّ هذا النموذج الهام ميلاداً جديداً، وآلية جديدة تهيكل أنثروبولوجيا الاتصال بعيداً عن علم اللسانيات وعلم اللغة، وقد كان منتهى هذا النموذج كما أكد عليه هيمس دال: "هو أنه من واجب الإثنوغرافيا وليس اللسانيات، وواجب الاتصال وليس اللغة توفير الإطار المرجعي الذي فيه يمكن تحديد مكانة اللغة في الثقافة والمجتمع".⁽⁶⁾

وتظهر الكفاءة الاتصالية للباحث الإثنوغرافي من خلال قدرته على دراسة الاتصال داخل المجتمعات القديمة أو الحديثة، عن طريق البحث في مصادر الثروة الرمزية ضمن أطرها الثقافية والاجتماعية وإيجاد وسائل اتصال خاصة

(5) - رضوان بوجمعة، مرجع سابق، ص 100.

(6) - المرجع نفسه، ص 101.

بذلك، وتقنيات اتصالية لا يمكن إغفالها في معاينة الظواهر الاتصالية ذات الخصوصية داخل هذه المجتمعات أو الجماعات.